مصائب رأس سيد شباب أهل الجنة

الحسين بن علي بن أبي طالب (ع)

علي الحسني

مصائب رائعة

سيد شباب أهل الجنة

الحسين بن علي بن أبي طالب (ع)

السيد علي الحسني

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿١﴾

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾

ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾

إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ٱهْدِنَا

ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ

عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ

وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾

كافة الحقوق محفوظة ومسجلة

الطبعة الثانية / ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م
الطبعة الأولى / ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م

دار الفارس
للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان
ت: ٠٣/٤١٣٢٥٦ -

الإهداء

وقفت متحيراً . . ماذا أُقدّم؟..
إلى أعظم أبوين في الوجود..
وهذا الجـهـدُ البـسـيط الذي لا يعـد شيء في حق صاحبه. ولو كانت البحارُ مداداً والأشجار أقلاماً فسيجف المداد وتتكسر الأقلام ، إذا أردنا أن نستوفي حق الإمام الحسين عليه السلام .
ولن نستوفي شيء من حقه.
وأي شيء يَليق بأبويه الزكيين الطاهرين.
فتحيرت..
فلما وجدت هذا الجهد المتواضع فكّرت في أن أواسي به الأب الرحيم والأم الحنونة. فالعظيم من المصائب قد تهون على الآخرين إلا على الأبوين ؛ فعظيمة هي ، خصوصاً إذا نزلت على الأولاد. فإلى المصابين بولدهم الحسين..
علي أمير المؤمنين ، وفاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين.. أهدي هذا الكتاب راجياً من الله العلي العظيم ومن محمدٍ وآله الطاهرين القبول والمنفعة يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون إلاّ من أتى الله بقلب سليم.

علي قادر الحسني

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة :

الحمد لله ملهم الحمد، صادق الوعد، ذي الجلال والإكرام، والفضل والإحسان، المبتدأ بالنعم قبل استحقاقها، والعالم بها قبل أوانها، والدال عليها لطالبيها، والمبقي لهم نعمه بعد الكفر بها، والحكيم لما أبقى لهم منها، مناً منهُ وجوداً وكرماً والصلاة والسلام على بدر التمام ذي المهام العظام، خاتم الأنبياء وسيد الأنام أبي القاسم محمدٍ وعلى آله الأخيار، النجباء الأبرار ورحمة الله وبركاته.

لا يخفى على الراشد الحليم ذي الفكر السليم، أن هناك صراعاً بين الخير والشر، وإن للحق دولة وللباطل جولة، ويبقى أصحابُ الفضل رعاةَ الفضيلة، وذو الشيم شؤونهم رفيعة، اعترافاً من الحق بأنهم أصحابه، ومن الفضل بأنهم رواده، فيمشون مشية العارف البصير في طريقٍ شائك، ودراية الحكيم في البوائق، ليوصلوا الحق إلى أهله والخير إلى محله، تسديداً لهم من العلي القدير، فلا يحمل العبء إلاّ من كان جديراً

بالمسؤولية، ولا يرقى مرقاة علمٍ إلاّ من كان عالماً بكيفية العروج. وها هو الطف، يكشف النقاب عن حقائق الأغراب الذين أظهروا الإيمان وكفروا بالرحمن، قلوبهم بالزيغ مملوءة وأفواههم بالنفاق معبوءة، سلبوا الحق من أهله، وادعوه لغيره، ولم يكتفوا بالكلام، بل عمدوا إلى جرائمٍ عظام، أغضبوا بها الله ورسوله، وأرعبوا بها قلوب الأطفال، وانتهكوا حرمة الرحمن، فأي دينٍ وأي إسلام، ذاك الذي يدّعون إذ ينادي فيهم الشيطان، يا خيل الله اركبي ورضي صدر الحسين، وأبشري بجنةِ الرحمن، أيُّ سفاهةٍ هذهِ وأي مغالطات، فلا العقل يقبل، ولا القلبُ يحمل، أن يسقى العطشان الحراب، وتشربُ الأطفالُ النبال عِوضاً عن الماء، وتحمل النساء بغير وقاء وهن بنات الأنبياء، والملائكة تضج في السماء، يا رب الأرضِ والسماء حاشى لوجهك أن ترضى عن هذه الإساءة، إذ ليس لها إلاّ بطلٌ هاشميٌّ، يملئها قسطاً وعدلاً بعد أن ملئت جوراً وظلماً.

٦ شعبان ١٤٢٠هـ

سوريا ـ قرية السيدة زينب (ع)

الفصل الأول

من هو الحسين ؟

هو ذلك الصرح الشامخ الذي لا يقترب مِن عُلاه إلاّ الأحرار، وهو ذلك البحرُ الذي لا يُبحرُ فيه إلاّ الأخيار، وهو ذلك الجبل الأشم الذي لا يرقى إليه الطير وينحدر عنه السيل، هو ذاك القوي الأبي، الذي لا يرضى بالضيم، عليمٌ بما تجري به الأمور، علمهُ بها علم الحكيم، والقائد الرزين، المستوعب لما حوله وما عليه من المسؤولية التي فرضتها عليه إمامتهُ ويعمل بما أملاه عليه وجدانه الطاهر، ونفسه الصافية وروحهُ الزكية، بأنصافٍ منهُ يدفعه، وعدلٍ يقيمه، وبرٍينشره، وفرضٍ يتممه، وحقٍّ بموضعه يضعه، فلما رأى الغي قامت به أصحابه، وعمل به أهله، وتناقلته فئاته، قد نزعت الرحمةُ من قلوبهم، والرأفة من نفوسهم، وعمدوا إلى أخذ الحق من أهله وهتك حجب الرسول.

قام الإمام الحسين صلوات الله تعالى عليه محتطباً من العزم، رُزماً، ليوقدها ناراً محرقة، على رؤوس الطغاة والظالمين حاملاً الإيمان بالله وحده، إذ لم يكن في قلب الحسين غيره، ويا سبحان الله ها هو الطف يكشف النقاب عن حال النجباء، فيصورهم لنا بأروع صورة رسمها بمهارةٍ واعتناء، إذ الحسين على الرمضاء يتقلب حائراً متألماً، مناجياً ربه قائلاً : «إلهي تركت الخلق طراً في هواك، وأيتمتُ العيال لكي أراكَ

لإن مزقتني بالحب ارباً لما مال الفؤادُ إلى سواك». صورٌ متكاملة من التفاني جسدتها تضحياتُ الحسين، برعم الزهرتين وليد عليٍّ وفاطمة وحفيد النبي ﷺ الذي كان يرعاهُ ، حتى جاءه أجلُ الله، وغاب نورهُ وانقطع وحيه، وسدت الزهراء خُلَّةَ أبيها بعد غيابه وانقطاع وحيه، ولكن، وأسفاه عليك يا فاطمة سرعان ما لحقتِ بالرفيق الأعلى إلى جوار النبي المختار واسودت الدنيا في عيني الحسين، إذ في عامٍ واحدٍ ولم يكن في عامين فقد النبي وانقطع الوحي، وقُتِلَت الزهراء، ورؤي الدم بين الحائط والباب.

ولم يبقَ للحسين إلاّ أخوه الأكبر وأبوه علي أميرُ المؤمنين، والدنيا تعج بالباطل والحق يضيع بتضاؤل، وإذ بالعهد الجديد قد علا، على عهد النبي وميثاقهِ وردّت بيعة الغدير، وصاروا من الناكرين، وظهرت شقشقة الشياطين فماذا يصنع الحسن والحسين، ليس إلاّ الصبر، فتلك هي صفات المتقين، ويأتي عامُ الأربعين، تلك السنةُ الهجرية التي قضى فيها الإمام أمير المؤمنين أيامه الأخيرة وختمت بذكر الله في بيت الله، بسيف عبدالرحمن ابن ملجم المرادي لعنهُ الله، في مسجد الكوفة، والإمام مشغولٌ بصلاته، وفارق علي بن أبي طالب الدنيا شهيداً صابراً بالله محتسباً، في ليلة الواحد والعشرين من رمضان، وها هو

الحسين، تتكرر عليه الأحزان، ويضج العالم بأسره لموت البطل الضرغام، ولم يبقَ من الأسرةِ الطاهرة والبيت الكريم، إلاّ الإمام الحسن السبط المجتبى ذلك الأخ الأكبر الذي يكبرُ الحسين بعام، وعاش الأخوان الإمامان في زمن حالك بالآثام، يسودهُ جبابرةٌ عظام، فيترتب على عاتق الإمامين الصبر ومراعاة الأمان، ليحفظ الإمام الحسن دماءَ الأبرياء، ويمهد لأخيهِ الحسين بالزمان والمكان، فرصته الجبارة للانتقام من الظالمين ذوي الحقد الدفين، لكن آهٍ ثم آهٍ ثم آه من قلة الأنصار، لدين النبي المختار، وإذا بالسنوات العشر التي عاشها الحسن مع أخيه الحسين تنقضي ويكشف معاوية بن أبي سفيان عن حقدهِ الدفين ومؤامرته اللئيمة التي حاكها مع محمد ابن الأشعث وأخته اللعينة جعدة بنت الأشعث، على سم الإمام الحسن والفوز بالزواج من يزيد، ومئة ألف دينار من الذهب. ما إن تمت الجريمة وفارق السبط حياته بروحهِ الكريمة. ونالت جعدة وأخوها أولاد الأشعث وبال أمرهم، والخزي بطردهم من قِبل معاوية. وهذا جزاءُ المذنبين وذاك هو فعل الظالمين وما ربك بغافلٍ عن المجرمين. وها هو الحسين قد أصبح فريداً، ومن البيت النبوي وحيداً، يحملُ أعباء الرسالة على عاتقيه، ليوصل الدين لطالبيه، ويعطي الحق لمريده، وليحفظ القرآن وأحكام الله. وما حُفظت إلاّ بالإمام الحسين عليه السلام .

الفصل الثاني

ما معنى حسين مني وأنا من حسين ؟

يا ترى لماذا ينطق النبي الأعظم محمد ﷺ بهذا الوحي حيث قال : «**حسينٌ مني وأنا منه ، أحب الله من أحب حسيناً ، حسين سبط من الأسباط**»(١)؟. ألِعاطفةٍ منه تدفعه، أم مصلحةٍ تأخذه؟ لا ليس النبي بالذي تأخذه العواطف، إنما لتبيين ما هو واجب وتعريف ما هو مهم، حيث إنَّ النبي ﷺ ما ذكر هذا الحديث إلاّ ليبين للناس ما سيجري على دينه العظيم. فحيث الضياع والتضييع لمبادىء الإسلام، وحيث الانقلاب الذي سيعم البلاد والعباد فلا يبقى من الدين إلاّ اسمه، ومن القرآن إلاّ رسمه، وها هو الفاسق يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، قد حكم ثلاث سنين، فمات معاوية سنة ستين، وتولّى هو رقاب المسلمين ظلماً سنة الواحد والستين للهجرة، وبنفس هذهِ السنة قتل سيد شباب أهل الجنة وريحانة النبي المصطفى ﷺ وسبى بنات الوحي وخدر الرسالة، وفي السنة الثانية والستين للهجرة أحرق أستار الكعبة، إذ حُوصِرَ فيها عبدالله بن الزبير وضربوه على رأسه وشجّت جبينه، فلما رأى الدماء تقطر من جبينه قال منشداً :

---

(١) أنساب الأشراف للبلاذري ج٣ ـ ص١٢٨٥، أحمد في مسندهِ ج٤ : ص١٧٢، سنن ابن ماجة ج١ص١٤٤، ابن عساكر في تاريخ دمشق ترجمة الإمام الحسين : ٧٩/ ١١٢ والإرشاد للمفيد ٢ : ١٢٧.

ولسنا على الأعقاب تدمى كلومنا
ولكن على أقـــدامنا تقطر الدمـــا

فهو الآن في حالة حزن وندم وأسى إذ لم تُسفك وتسقط هذه الدماء مع الذين مضوا وسبقوا، كشهداء بدر وأحد أو مع الحسين ابن بنت رسول الله ﷺ، بل الآن على أيدي جلاوزة يزيد لعنه الله، يهان ويضرب ويسفك دمه. وفي سنة ثلاث وستين للهجرة أباح يزيد المدينة وقتل ثمانين رجلاً من صحابة النبي ﷺ، وافتضَّ ألف بكر من نساء المدينة، ووشم جباه ورقاب الناس بعبارة (عبيدٌ ليزيد بن معاوية[1]). وهو لعنة الله عليه بهذا التصرف يُرجع الناس إلى أيام الجاهلية الأولى بعدما غمرهم الله بنعمة الإسلام. فلهذا لم يكن هناك ليزيد ابن معاوية إلاّ الحسين بن علي بن أبي طالب، فاضحاً ومنتقماً ومحرراً للناس والدين، فحيث الناظر إلى يزيد من عموم الناس والمسلمين بأنه خليفة المسلمين، وخليفة المسلمين بمعنى خليفة النبي الأكرم، وخليفة النبي يعني الممثل للنبي بعد غيابه وانقطاعه، فحينما يأتي الإمام الحسين بإقامة الصلاح ويريد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولطالما لم يلتزم يزيد وأتباعه بمثل

(١) راجع تاريخ المدينة لأبي شيبة : ج١ وج٢، وتاريخ الطبري أحداث سنة ٦٣ للهجرة .

ذلك ولا بأي شكل من الأشكال، بل علاوة على ذلك ضيّعوا حقوق المسلمين، وأفسدوا عليهم دينهم. صار حقاً على الإمام القائم في الناس، أن يحفظ لهم دينهم ويعيد لهم حقوقهم التي سلبها يزيد وأتباعه، والواجب الشرعي يحتم على الإمام الحسين النهوض والوقوف بوجه الطغاة، ويكفي بذلك قول النبي الأعظم ﷺ في حق الحسن وأخيه الحسين

«إبناي هذان إمامان قاما أو قعدا»(١)

وفي حق الحسين بالذات قال رسول الله ﷺ للحسين : **«أنت سيد وابن سيد أنت إمام وابن إمام وأخو إمام وأبو الأئمة ، وأنت حجة الله وابن حجته ، وأبو حجج تسعة من صلبك ، تاسعهم قائمهم»**(٢) وكذلك حسين سبط من الأسباط(٣) إشارةً منه ﷺ إلى أسباط بني إسرائيل حيث كان مع موسى عليه السلام اثنا عشرة سبطاً بمثابة النقباء وكانوا أوصياءً لموسى عليه السلام لقوله تعالى ﴿**وقطعناهم اثنتي عشرة أسباطاً أمماً**﴾(٤) ولسنا في هذا المقام بصددِ بيان إثبات إمامته صلوات

---

(١) بحار الأنوار ج٤٣ ـ ص٢٨٧ .

(٢) منهاج السنة لابن تيمية ج٤ ـ ص٢١٠

(٣) نفس المصدر المذكور .

(٤) الأعراف ـ الآية ١٦٠ .

الله تعالى عليه، إذ إن الأدلة النقلية والعقلية كثيرةٌ مما لا يسعه المقام ويطول عنه الكلام، وذلك أمرٌ مفروغ منه أنه إمام وحجة من قبل الله سبحانه، ومن قبل النبي المصطفى ومن قبل أبيه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ومن قبل أخيه الإمام الحسن. فكما نص الله على النبي بالنبوة فوجب الإيمان بها وكذلك لو نص النبي على وصاية وإمامة وولاية الإمام علي بن أبي طالب وأبنائه وجب الإيمان بذلك كله، وكما نص الإمام علي على إمامة وخلافة وولاية الإمام الحسن من بعده وبايعه الناس ستة أشهر خليفة خامساً للمسلمين وجب الإيمان بذلك، وكما نص الإمام الحسن على إمامة وخلافة وولاية أخيه الإمام الحسين وجب الإيمان بذلك كله ولا مجال للجدال.

والمعنى الذي يتجسد في قول النبي ﷺ :

«حسين مني وأنا من حسين»[1]

هو حفظ الدين على يد رجل من نفس النبي ومن دمهِ ولحمه، فقوله ﷺ مني، أي ابني وولدي، وقد ذكر النبي ﷺ ذلك مراراً وتكراراً وفي مواضع عدة حيث قال : «إن جبرائيل أخبرني إن ابني هذا «يعني حسين» مقتول وأنه اشتد

---

(١) أنساب الأشراف للبلاذري ج٣ ـ ص١٢٨٥ .

غضب الله على مَنْ يقتله»[١] فهذا من جهة قوله صلى الله عليه وآله مني، أما من جهة قوله وأنا منه فهذا معناه إن التصرف الذي يقوم به، هو أنا نفسي قائم به، والفعل الذي على يديه هو فعلُ يديَّ، فأنا منه بكل ما قال أو فعل، وبمعنى آخر أنا مسؤول منه، أنا منه.. مسؤول... أنا عليه مسؤول.. أنا المسؤول بكل ما فعل، فلذلك كان شعاره (أي الإمام الحسين) في الحرب، حرب الطف يا محمد، إذ لكلِ حرب لابد من شعار يرفع ويردد، لكي يسمعهُ أصحابه ويرهب منه أعداؤه، فكان ينادي يا محمد بمعنى أنا ابن محمد فَلِمَ تقاتلوني، ومحمدٌ مني، مطلعٌ على ما سيصدر مني من الجهادِ لكم والوقوف بوجوهكم، لإعلاءِ كلمة الله التي محقها يزيد بن معاوية. فلهذا نطق النبي بالوحي وما كان نطقه عن هوى.

---

(١) كنز العمال ج٦ ـ ص٢٢٣ .

الفصل الثالث

الحسين والأنبياء

ويا شبيهاً بالأنبياء ووارثاً، ويحق لمثلهِ أن يكون وارثا، حيثُ الخصائص الربانية، والصفات المحمدية، والطباع العلوية، التي ما أخلقت منه جديدا، فشموخاً ورفعةً، وشجاعةٍ وجودا.

شيمٌ ما خُلِقْنَ في بشر قط
ولا حاز مثلهن العبادُ

وتحققت الإرادة الربانية وتمت المشيئة الإلهية، بأن يكون الحسين بن علي بن أبي طالب شبيهاً للأنبياء، فالحسين صلوات الله تعالى عليه شبيه بآدم عليه السلام من أمورٍ عدة، فلو قورنت لكانت بالفضل كفضل الأنبياء، والعقل السليم بنظرةٍ منه يُقر ذلك، وليس معنى ما ذكرت أن الأنبياء قليلو الشأن أو ناقصو الفضل، شأنهم محفوظ وفضائلهم متكاملة وإثبات شيء لشيء لا ينفي إثباته لما عداه، فقد روي أن نبي الله آدم بكى مائتي سنة[1]. بينما الإمام الحسين عليه السلام بكى يوم واحد وهو يوم عاشوراء. فبكاء آدم على فراق الجنة بينما بكاء الحسين عليه السلام على الذين جاؤا لقتاله، فهو صلوات الله تعالى عليه يبكي عليهم لأنهم سيدخلون النار بسبب قتله[2]. وآدم بكى لولدٍ واحد قتل بينما الحسين عليه السلام بكى على اخوته وأولاده وبني

(١) بحار الأنوار ج١١ ـ ص٢١١ .
(٢) الخصائص الحسينية ص٤٨٤ .

أعمامه وأصحابه.

ويتألق أحد الشعراء ليُفصح عن عظمة الإمام الحسين في هذا الموقف :

يممتُ يومك في ليلة ظلماء
بلفحةِ الصحراء تلتمس الغدير ورودا
فرأيت بين شروقهِ وغروبهِ
صوراً تعز على النعوت صدورا
ورأيتك الفكر الحصين يشق
أستار الغيوم ويستشف بعيدا
ورأيتك النفس الكبيرة لم
تكن حتى على من قاتلوك حقودا
وعلمت أنك نائلٌ ما تبتغي
حتماً وإن كان شلوك المقصودا
ظنوا بأن قتل الحسين يزيدهم
لكنما قتل الحسين يزيدا

وآدم تعب عن تحصيل أسباب العيش والقوت لعياله وزوجته، إذ لم يكن هناك شيء موجود، بينما الإمام الحسين عليه السلام جاهد للحصول على الماء الجاري الذي كان بقربه

لرفع الهلاك بالعطش عن عياله وأطفاله. لكنهم منعوه وقتلوه وأطفاله عطاشى وذبحوا الرضيع الذي كان على يمينهِ، بعدما حمله إليهم ليسقوه قطرة من الماء، لكنهمُ ذبحوه من الوريد إلى الوريد. وآدم ابتلي بقتل قابيل لأخيه هابيل، وقد شربت الأرض دمهُ فَلُعِنَتْ فلم تشرب الدم بعد ذلك، بينما الإمام الحسين عليه السلام رأى علياً مقطعاً إرباً إرباً غير مدفون، ورأى طفله عبدالله مذبوحاً وقد مال رأسه على ساعده وهو يحمله[١]، وشبيهاً بنبي الله ادريس، فإدريس رفعه الله مكاناً علياً بين السماء الرابعة والخامسة[٢]، لقوله تعالى ﴿**واذكر في الكتاب ادريس إنه كان صديقاً نبياً ورفعناه مكاناً علياً**﴾[٣]، بينما الإمام الحسين رفع ذكره وروحه وجسده حتى صار في قلب كل مؤمن، ولذلك قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم : «إن لولدي الحسين حرارةً في قلوب المؤمنين لا تبرد إلى يوم القيامة»، وكذلك قوله صلى الله عليه وآله وسلم : «إن للحسين في بواطن المؤمنين معرفةً مكتومة»[٤]. فقد روي عن المقداد رضي الله عنه حيث قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

---

١١) راجع تفسير القمي / ج١ص١٦٦، وكذلك بحار الأنوار/ ج١١ ص٥٨ .

(٢) بحار الأنوار ج١١ ـ ص٢٧٧ .

(٣) سورة مريم الآيات ٥٦ ـ ٥٧ .

(٤) راجع الخرائج والجرائح : ج٢ ـ ص٨٤١، وبحار الأنوار ج٤٣ ص٢٧ .

يوماً في طلب الحسن والحسين، فوجدهما نائمين في حديقة على الأرض، فبدأ برأس الحسين يعطفه[١]، وجعل يرخي لسانهُ في فمه مراراً حتى أيقظهُ، فقال المقداد : كأن الحسين أكبر؟ !! فأجابه النبي صلى الله عليه وآله وسلم : «**إن للحسين في بواطن المؤمنين معرفةً مكتومة**». ولعل فعلَ النبي هذا مع الحسين، سبباً كان أورث الحسين المحبة في قلوب المؤمنين !! بل هو كذلك، وإلاّ لماذا ترى الباكين عليه بمجرد سماع اسمه، وعند ذكر مصائبه، ويشتاق إلى زيارته أكثر من زيارة غيره، أو حتى زيارة بيت الله الحرام.

ونبيُ الله ادريس شَفَعَ في مَلَك واحد، بينما الإمام الحسين شُفِعَ لِمَلَكين هما فطرس ودردائيل[٢]، ونبي الله ادريس قد ابتلي بالفرار من السلطان لينجو بنفسه وقد نجاه الله إذ رفعه إليه، بينما الإمام الحسين عليه السلام فرّ من السلطان من أجل أن لا يقتل في بيت الله الحرام، ففرار الإمام الحسين ليس خوفاً من السلطان بل لكي لا يقتله السلطان في الكعبة ويسفك دمه ومن معهُ في بيت الله الحرام فتنتهك بذلك حرمته. فخرج الإمام

---

(١) يعطفه : أي يجذبه إليه .

(٢) معاجز أهل البيت ج٢ ـ ص٢٦٢ وص٢٦٣، مناقب آل أبي طالب ج٤ ـ ص٧٤، كمال الدين ص٢٨٣، البحار ج٤٣ ـ ص٢٤٨ و ص٢٥١ .

الحسين صلوات الله تعالى عليه احتراماً للبيت الحرام. وشبيهاً بنبي الله نوح فنبي الله نوح شيخ المرسلين، والإمام الحسين سيد شباب أهل الجنة أجمعين، ونبي الله نوح شرف الله له بيتاً ومسجداً وهو مسجد الكوفة، بينما الإمام الحسين شرف الله الأرض بجسده الطاهر، إذ دُفن في بقعة فتشرفت على جميع بقاع العالم، وجُعل قبره مسجداً وقبته مفتاح الرحمة ومحلاً لاستجابة الدعاء[1] ونبي الله نوح صاحب السفينة الجارية على أمواج البحار، والإمام الحسين صاحب السفينة الناجية من طبقات النيران، وها هو الإمام الرضا : يشهد بذلك إذ يقول : كلنا سفن النجاة والحسين أسرع، وحديث النبي ﷺ المشهور بحديث السفينة[2] إذ يقول فيه : «إن الحسين مصباحُ الهدى وسفينة النجاة»، ونبي الله نوح لبث في قومه ألفاً إلاّ خمسين وكانوا يضربونه فيغمى عليه، وذلك كله من أجل الاستجابة إلى طاعة الله وعبادته، بينما الإمام الحسين عليه السلام، ضربوه في اليوم الواحد ما يعادل ضرب قوم نوح لنبيهم أضعاف المرات وذلك من أجل الإصلاح في أمةِ جدهِ المصطفى، والأمر

---

(١) كامل الزيارات : ص٢٦٤ .

(٢) آمالي الصدوق : ص٤٧٨، بحار الأنوار ج٤٣ ص٢٦٢، المنتخب للطريحي ص٢٠٣ .

بالمعروف والنهي عن المنكر والسير على دين النبي وسنته.

وشبيهاً بنبي الله الخليل إبراهيم، فنبي الله إبراهيم ترك عائلته، زوجته وولده الصغير وأسكنهم بوادٍ غير ذي زرع. لقوله تعالى : ﴿**رَبَنا إني أسكنتُ من ذريتي بوادٍ غير ذي زرع عند بيتك المحرم ..... فاجعل أفئدةً من الناس تهوي إليهم وارزقهم من الثمرات**﴾[1] بينما الإمام الحسين، ترك أطفاله وبناته وأخواته بنات الوحي والرسالة في صحراء كربلاء وقد أحاط بهم من كل جانب جيش كأنه السيل قارب السبعين ألف، وهذا العدد الهائل على مجموعة ضعيفة من النساء والأطفال، لا حول لهم ولا قوة، تركهم الإمام الحسين عليه السلام ومضى في سبيل إعلاء كلمة الله، وفي سبيل الحق والشهادة وفي سبيل الشرف والوجدان، وفي سبيل دين المصطفى المختار، بينما هاجر وإسماعيل لم يكن معهم عدو أو محارب، أو حوصرا من كل جانب[2] كما حوصرت زينب والنساء والأطفال.

وشبيهاً ببني الله إسماعيل، فنبي الله إسماعيل استجاب لدعوة الله ولبى طلب أبيه، إذ قال له يا أبت إني أرى في المنام

---

(١) سورة إبراهيم الآية ٣٧ .

(٢) جلاء العيون ج٢ ـ ص٢٠١ مقاتل الطالبيين ص٣١٣ .

أني أذبحك وما كان ذبحُ إسماعيل إلاّ فداء للبيت الحرام، ولكن لم يذبح إسماعيل وفداه الله بذبح عظيم، وهل يا ترى ذبحُ كبش نزل من السماء على إبراهيم يعدُ ذبحاً عظيماً؟ !!، لا، بل الذبح العظيم الذي كان فداءً لاسماعيل، وفداءً للبيت الحرام، وفداءً لمناسك الله وشعائر الله ودين الله... هو ذبحُ ابن بنتِ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولأن إبراهيم بعد نزول جبرائيل عليه بقوله تعالى : ﴿**فلما أسلما وتله للجبين وناديناهُ أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزي المحسنين إن هذا لهو البلاءُ المبين وفديناهُ بذبح عظيم**﴾[1]، عندها جلس إبراهيم يبكي بعدما نزل جبرائيل بالفداء لإسماعيل فقال جبرائيل لم البكاء يا إبراهيم، وقد رفع الله عنك البلاء المبين ولم يذبح إسماعيل، فقال إبراهيم : إنما أبكي لأنه لم يكن لي ولد يقتل في سبيل الله فيبكيه المؤمنون، والمحبون، فقال جبرائيل : يا إبراهيم الذبح العظيم الذي جعله الله فداءً لاسماعيل وللبيت الحرام والسنة والدين، هو الحسين من ولدك ابن آخر نبي من ذريتك، وستجري عليه مصائبٌ عظام لم تجرِ على أحدٍ من العالمين، فبكاهُ إبراهيم بكاءً عالياً حتى علا نشيجه، ونبي الله اسماعيل لما أراد أبوه ذبحه.. تله للجبين،

(١) سورة الصافات الآيات ١٠٣ ـ ١٠٧ .

بمعنى جعل جبهته على الأرض، وأراد ذبحه من القفا، وذلك لكي لا يتبادلا النظر، فيضعف عندها إبراهيم عن تنفيد أمر الله، ويقل صبر إسماعيل عن قضاء الله، ومع ذلك لم يذبح لأن جبرائيل تداركهُ بالنداء، والذي كان بيده السكين أبوه إبراهيم !، ونبيٌ من المرسلين، بينما الإمام الحسين عليه السلام الذي ذبحه من القفا كان كافراً برب العالمين وبالنبي سيد المرسلين، وكان اللعين شمرُ بن ذي الجوشن أبرص شبيهاً بالكلاب والخنازير، ولم يذبحه بسحب سكين بل بعدما ضربه اثني عشر ضربة... ثم ذبحه من القفا.

وشبيهاً بنبي الله يعقوب فنبي الله يعقوب لما مات جمع أولاده من حوله ثم قال لهم : قوله تعالى : ﴿. . . **ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلهاً واحداً ونحن له مسلمون**﴾[1] بينما الإمام الحسين عليه السلام، لما حضرهُ الموت لم يكن إلى جنبهِ أحد من بنيهِ يعينه أو يوصيه أو يكلمه، أو يسقيه شربةً من الماء، وقد كان يستغيث بالقوم وهم من حوله ليسقوه شربةً من الماء فلا يعطى، وهو إذ ذاك ليس على وجه الأرض من شرقها إلى غربها ابن بنتِ نبيٍ غيره، وهو حجة الله على خلقهِ وخليفتهُ

(١) سورة البقرة : الآية ١٣٣ .

في أرضه، ونبي الله يعقوب ابيضّت عيناهُ من الحزن على ولده الذي غاب عنه وهو يعلم بعلم الوحي والنبوة أنه حيٌّ يرزق، بينما الإمام الحسين فقد في يومٍ واحد، ثمانية عشر من أهل بيته.

وشبيهاً بنبي الله يوسف، فنبي الله يوسف أدخلوه على العزيز فجعله عنده مكيناً فقال يوسف : قوله تعالى : ﴿قال اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظٌ عليم﴾ ﴿وكذلك مكّنا ليوسف في الأرض يتبوأ منها حيث يشاء نصيبُ برحمتنا من نشاءُ ولا نضيع أجرَ المحسنين﴾[1] بينما الإمام الحسين عليه السلام أدخل رأسهُ على يزيد بن معاوية لعنهما الله، وحرمه وأطفاله سبايا.

وشبيهاً بنبي الله صالح فنبي الله صالح ابتُلي بسقاية الناقة وكان لها شرب يوم كامل، وللقوم شرب يوم كامل ولكنهم لمّا ذبحوها سخط الله عليهم، وغضب منهم، بينما الإمام الحسين، أراد لطفله شربةً من الماء فلم يعطوه ولم يسقوه، وكان بدلاً من أن يسقوه ذبحوه، وهو على صدر أبيه الحسين، فوضع الإمام الحسين عندها يدهُ الشريفة تحت منحر الطفل.. فامتلأت كفهُ دماً ثم رمى بهِ نحو السماء فلم تسقط منه قطرة، ثم رفع

(١) سورة يوسف : الآية ٥٥ ـ ٥٦ .

يديه إلى السماء قائلاً : اللهم لا يكون طفلي هذا أهون عليك من فصيل ناقةِ صالح[١].

وشبيهاً بنبي الله هود، فنبي الله هود صاحب التوكل الخاص الذي قال لقومه، قوله تعالى : ﴿**فكيدوني جميعاً ثم لا تنظرون**﴾[٢] والإمام الحسين عليه السلام. قال في يوم العاشر من المحرم بقوله تعالى : ﴿**يا قوم إن كان كبرُ عليكم مقامي وتذكيري بآيات الله فعلى الله توكلت فاجمعوا أمركم وشركاءكم ثم لا يكن أمركم عليكم غمةً ثم اقضوا إلي ولا تنظرون**﴾[٣] ونبي الله هود لما قال لهم ذلك ضربوه بالعصا والحجر، بينما الإمام الحسين ضربوه بكل سلاح وبكل قوة، ولم يتركوا شيئاً أو وسيلة إلاّ قتلوه بها.

وشبيهاً بنبي الله شعيب، فنبي الله شعيب كان له بنتان تسقيان لقولهِ تعالى : ﴿**ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمةً من الناس يسقون ووجد من دونهم إمرأتين تذودانِ قال ما خطبكما قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاءُ وأبونا شيخٌ كبير**﴾[٤]، فسقى

(١) المنتخب للطريحي ص٤٦٤، البحار ج١١ ـ ص ٣٩٢ .
(٢) سورة هود الآية ٥٥ .
(٣) سورة يونس الآية ٧١ .
(٤) سورة القصص : الآية ٢٣ .

لهم نبي الله موسى، ثم انتقل إلى شعيب وكان يعمل عنده وتزوج إحدى بناته، فنبي الله شعيب سقى له نبي من الأنبياء ورسول من الرسل، بينما الإمام الحسين عليه السلام ما كان عنده إلاّ أبو الفضل ساقي عطاشاه، وقد حال الأعداء بينه وبين عطاشا الحسين عليه السلام، ومنعوه من إيصال الماء إليهم. حتى أهلكهم العطش وأضرّ بهم، ونبي الله شعيب كان يشرب الماء المباح، بينما الإمام عليه السلام الحسين مات عطشاناً بجنب الفرات الذي تشرب منه جميع المخلوقات.

وشبيهاً بنبي الله أيوب، فنبي الله أيوب كان صابراً لقوله تعالى : ﴿إنا وجدناهُ صابراً نعمَ العبد انه أوّاب﴾[1] وقد عوّض الله صبر نبيه أيوب بأن شفاه وأعاد له ولده وأمواله وملكه، وعاش بقية عمره عزيزاً مكرّماً، إلى أن وافاه الأجل، بينما الإمام الحسين روحي فداه، مات صابراً ولم يحصل على أبسط حقٍ مشروع وهو الماء قبل الموت، والدفن بعد الموت، حتى عجبت من صبرهِ ملائكة السماء، ولذلك قال الإمام زين العابدين عليه السلام (أنا ابن المقتول صبراً)[2].

وشبيهاً بنبي الله يحيى، فنبي الله يحيى قتل ومات

---

(١) سورة ص الآية ٤٤ .

(٢) اللهوف ص٦٨ ، البحار ج٤٥ ص١١٣ .

مذبوحاً وضرب على رقبته اثنتا عشر ضربة، والإمام الحسين عليه السلام ضُرب كذلك اثنتا عشر ضربة، ونبي الله يحيى رأسه بعد الذبح والقطع والفصل عن الجسد، قال للملك اتقِ الله، والإمام الحسين رأسه المقدس قرأ القرآن، وذكر الله سبحانه[١]، ونبي الله يحيى أهدي رأسه إلى بغيٍ من بغايا بني إسرائيل، والإمام الحسين صلوات الله تعالى عليه أيضاً أهدي رأسُهِ إلى باغٍ من بغاة بني أمية، ونبي الله يحيى لما أرادوا ذبحه أخرجوه من المسجد وهو حصورٌ[٢]، بينما الإمام نزل إلى ساحة القتال مجاهداً في سبيل الله تاركاً وراءهُ نساءً حائرات عطاشا فرادى في العراء تحيط بهن الأعداء من كل جانب[٣].

وشبيهاً بنبي الله موسى، فنبي الله موسى خرج من المدينة يترقب لقولهِ تعالى ﴿**فخرج منها خائفاً يترقب قال رب نجني من القوم الظالمين**﴾[٤]، والإمام الحسين عليه السلام خرج من المدينة المنورة ليُدرك الناس في الحج، ويدعوهم إلى ثورتهِ

---

(١) بحار الأنوار ج١٤ ص٣٥٧ .

(٢) حصورا : بمعنى مبالغ في حبس نفسه عن اللذائذ الدنيوية .

(٣) البحار ج٤٥ ص١١٦ ، العوالم ص٣٨٣ وص٣٨٤ وص ٤٠٣ ، اللهوف ص٧٨ ، الاحتجاج ج٢ ص١٢٢ .

(٤) سورة القصص الآية ٢١ .

الإصلاحية التي بها صلاح الدين والناس، والتي تحمل مبدأ الحرية لقولِ الإمام الحسين كونوا أحراراً في دنياكم، والتي من مبادئها العيش في عزة وكرامة، وعدم الخضوع للظالمين مهما كلف الأمر. ونبيُ الله موسى صاحب اليدِ البيضاء، والإمام الحسين عليه السلام صاحب الوجه المضيء والنحر المضيء الذي شغل الظالمين عن الفكرة في قتله، والإمام الحسين كتلة من نورٍ مشعة، صاحب إضاءةٍ وبرقة، تضيء في الليلة الظلماء، كما رأى تلك الإضاءة جدهُ المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم إذ قال مخاطباً بضعتهُ الزهراء فاطمة قائلاً : «إني أرى في مقدم وجهك ضوءاً ونوراً وستلدين حجةً لهذا الخلق».. فقالت عليها السلام : (إني لما حملت به كنتُ لا أحتاج في الليلةِ الظلماءِ إلى مصباح)[1]. نعم هو كذلك الحسين، كما قال فيه جدهُ المصطفى إن الحسين مصباحُ الهدى وسفينة النجاة ونبي الله موسى طلب من الله أن يشدَّ أزره بأخيه لقوله تبارك وتعالى : ﴿**واجعل لي وزيراً من أهلي هارون أخي**﴾[2]، والإمام الحسين كان له أبو الفضل العباس وزيراً وناصراً وقد شدّ الحسين به أزره، ولما قتل أخوه

---

(١) الخرائج والجرائح ج٢ ـ ص٨٤٤ ، البحار ج٤٣ ـ ص ٢٧٣ ، الخصائص الحسينية ص٣٥ .

(٢) سورة طه : الآية ٢٩ ـ ٣٠ .

العباس قال الإمام الحسين الآن انكسر ظهري، وقلت حيلتي، ونبي الله موسى حفر قبراً لنفسه بيده وذلك لما مرَّ برجلٍ يحفرُ قبراً، فقال موسى سائلاً الرجل لمن هذا القبر؟ قال الرجل : هو لعبد من عباد الله الصالحين، قال له موسى : دعني أعينك عليه، فأعانه على حفره وتم اللحد، فقال الرجل : فنم فيه نرى سعته، فنام موسى في اللحد، فأُري مقامه ومكانهُ في الجنة، فطلب قبض روحه في تلك اللحظات فقَبضت وهو نائمٌ في اللحد وفي القبر[1]، بينما مولانا وسيدنا الإمام الحسين عليه السلام بقي ثلاثة أيام من غير غسل أو كفن أو دفن، ومن حوله أخوته وولده وأصحابه جثث بلا رؤوس فإلى الله المشتكى ولا حول ولا قوة إلاّ بالله العليّ العظيم.

وشبيهاً بنبي الله عيسى ابن مريم سيدة نساء عالمها. والإمام الحسين عليه السلام بن فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين، ونبي الله عيسى لم يكن له ولد يحزن عليه، والإمام الحسين قدم أولاده شهداء بين يديه في سبيل الله، نبي الله عيسى جدهُ لأُمِّهِ عمران، والإمام الحسين جدهُ لأُمِّهِ خاتم النبيين وسيد المرسلين الحبيب المصطفى محمد بن عبدالله صلى الله عليه وآله وسلم، ونبي الله عيسى

---

(١) آمالي الصدوق ص١٩٣ ، البحار ج١٣ ـ ص٣٦٥ .

ليس له أب بل خلق من قدرة الله وكلمتهُ التي ألقاها الروح الأمين على مريم ابنة عمران، والإمام الحسين عليه السلام أبوه علي بن أبي طالب وصي رسول الله وخليفتهُ وابن عمه .

وشبيهاً بنبي الله وخاتم رسله النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالجسد، فإن الحسين كان يشبه جدهُ المصطفى من الرقبة وحتى الأقدام وكان ذلك الجسد ملقاً على التراب ثلاثة أيامٍ وهو أشبه الأجساد بجسد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

الفصل الرابع

الفاجعة الكبرى

وجاءت لحظاتُ التحدي، قارعةً أجراس الموت، وها هو زمان الموقف قد نزل بأرض الطف، ليكون إلى جانب من أصرّ على موقفه، وثبت لمبادئه ويا عجباً لنفوس الطغاة كم من موعظةٍ وموعظة، وليس هناك من متعظ وكم من موقفٍ وموقف، يُبعد عن اللبيب الحيرة، متضحاً ببيانه بيناً بمجرياته لإيقاف الظالمين عن ظلمهم، والمجرمين عن جرمهم، والحاقدين عن حقدهم. فلم يكن من ظلمهم إلاّ أشده، ومن جرمهم إلاّ أعظمه، ومن حقدهم إلاّ أكبره، وحلّ ذلك كله، على رقاب الطاهرين، لإمضاء نزوات الفاسقين ورغبات الجبارين، في الانتقام من آل طه وياسين، ونزل الإمام الحسين بأرض نينوى رافعاً لواء الحمد بوجوه المشركين، مخاطباً لهم يا شيعة آل أبي سفيان إن لم يكن لكم دين وكنتم لا تخافون المعاد فعودوا إلى أحسابكم وأنسابكم إن كنتم عُربا، فما كانوا مستجيبين له ولا سامعين، وصمت من الحرام آذانهم، حتى إذا استنصتهم للوعظ، فلم ينصتوا ولم يسمعوا، بأمرٍ من ابن سعد إذ قال لهم لا تنصتوا، فأسمعهم الإمام الحسين عليه السلام صوتهُ وقال : ويلكم مالكم لا تسمعون بل لم لا تنصتون؟ أصمّت آذانكم أم هي بطونكم ملئت من الحرام، فصرتم لا تسمعون وعن وعظي تعرضون، فتعساً لكم ولما تفعلون... هكذا يواجه سبط

المصطفى العصاة. ويتحمل منهم أشد الصعوبات، وتمرُ أيام شهرِ محرم الأولى وتقترب لحظاتُ الفراق، وأسفر الصبحُ عن رشقٍ من السهام كأنه المطر، قال حينها الإمام الحسين إلى أصحابه وأهل بيته : قوموا رحمكم الله إلى الموت الذي لابد منه فهذهِ رسل القوم إليكم، وما أن حلّ الزوال، وانكشفت الغبرة ولاح للناظر النظر... إلى خمسين صريعاً قد وقعوا بالخطر... خطرُ الموت الذي بهم قد ظفر، ولم يبقَ إلاّ ثلةٌ من بني هاشم وكلهم عازمٌ على مواجهة الخطر، مستعدٌ لنيل الظفر، وهو رضا الله كيف ما حصل. وعليه قول الله تعالى : ﴿**فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدّلوا تبديلا**﴾[1]، بلى والله فما كانوا إلاّ ضواري[2] على العدى منتقمين من المنافقين الذين ضيّعوا السُنة والدين. يتقدمهم علي الأكبر أشبهُ الناس خلقاً وخُلقاً برسول الله ﷺ، فكان أول من قُتل من بني هاشم، وكان آخرهم عبدالله بن الحسن المجتبى الذي ذبح على صدر عمّه الحسين ومات شهيداً، وله من العمر إحدى عشرة سنة. ها هو الآن ينظرُ إلى عمه الحسين من بعيد، بشوقٍ يدقُ قلبهُ الصغير، وقلق يشوب نفسه الصافية، لابد من الوصول

---

(١) سورة الأحزاب الآية ٢٣ .

(٢) الضواري : من الضاري وهو الأسد عند هجومه .

إلى عمهِ الحسين، وفي حينِ غفلةٍ من عماتهِ وأمه خرج مسرعاً إلى ساحة القتال.. أحست به الأم أسرعت وراءه.. لكنها ما تمكنت منه، الآن وقد وصل إلى عمهِ، تباطأت أقدامه التي كانت مسرعة، وها هي الآن تحملهُ ببطء وقد صار بجنب عمه الحسين والتصق به. عماه يا نور عيني ماذا صنع بك الأعداء، كيف ضربوك هكذا أم كيف طعنوك؟ قتلهم الله ورسوله إذ هَمّوا بك فقتلوك، وبينما هو واقف إلى جنب عمهِ الحسين، وإذا بمالك بن النسر الكندي واقف فوق رأس الحسين، والإمام الحسين عليه السلام في هذه الحالة مطروحٌ على الأرض، تملؤه الجراح ويضعفهُ نزف الدماء من أثر قطع الصفاح، فهم بضرب الحسين بعد شتمهِ وشتم أبيه علي أميرُ المؤمنين عليه السلام، وإذا بعبد الله بن الحسن انفجر صارخاً بالرجل : ويلك يا ابن الخبيثة أتريد قتل عمي الحسين؟ !! وإذا باللعين قد حول بالضربة إلى الغلام.. فتلقى الغلام الضربة بيمينه وإذا باليمين معلقة، صرخ الغلام من شدة الألم صرخةً عالية سمعها أهلُ الميدان والعسكر، ثم قال ملتفتاً إلى جهةِ المخيم منادياً يا أماه قد قطعوا يميني، ثم عادها مكلماً عمهُ الحسين : يا عماه قد قطعوا يميني، فبينما هو كذلك والحسين يواسيه ويصبره، إذ سهمٌ من حرملة الكاهلي يذبحه وهو على صدر عمه الحسين. ولم يبقَ إلاّ سبط المصطفى

قد أخذتهُ الجراحات ونزف الدماء، وما من معين، وهو ملقىً على الرمضاء وهو إذ ذاك يطلب شربةً من ماء، فلا يعطى، أو ظلاً عن حرارة الشمس فلا يغطى والقوم في حيرةٍ تتلوها أخرى، من الذي ينزل ويقتل ريحانة المصطفى وابن علي المرتضى وعزيز فاطمة الزهراء، إلى أن أجمع القوم على أمرٍ اهتزت له السموات العلى والأرضين السفلى، وأغضب العلي الأعلى!.. قطعُ رأس الحسين من القفا.. ألا يا سماء أقلعي بركاتك، ويا أرض كفي خيراتك، فلا لذة بالعيش بعد الحسين سبط النبي المصطفى، وعمَّ الظلام وهاجت الملائكةُ العظام، وهبت ريحٌ سوداء تعقبها ريحٌ حمراء، يا ويلنا إنها الساعة وهاهي القيامة. وحلّت لعنة رب الأرضِ والسماء، وها هي السماءُ تمطرُ دماءً حمراء لقتل ابن سيد الأنبياء، وها هو أبو العلاء يقول في الإمام الحسين الرثاء :

وعلى الأفقِ من دماء الشهيدين
علي ونجله شاهدانِ
فهما في أواخر الليل فجران وفي أولياته شفقان
ثبتا في قميصه ليئتيا
في الحشر مستعدياً إلى الرحمن

وقال السيد حيدر الحلي فيه يرثيه :

وأصبح مشتجراً للرماح
تجلي الدما منه نيرانها
عفيراً متى عاينتهُ الكماة
يختطف الرعب ألوانها
فما أجلت الحرب عن مثلهِ
صريعاً يجبن شجعانها
تريب المحيا تظن السما
بأن على الأرض كيوانها
غريباً يا غريب الطفوف
تؤسر خديك كثبانها
وقتلك صبراً بأيدٍ أبوك
ثناها وكسر أوثانها
أتقضي فداك حشى العالمين
خميص الحشاشة ظمآنها

ورثاه الشيخ كاشف الغطاء قائلاً :

فلو أن أحمد قد رآك على الثرى
لفرشن منه لجسمك الأحشاء

أو بالطفــوف رأت ظمــاك سـقــتك
من مـــــــاء المـدامع أمـك الزهـراء
يا ليـت لاعـــذب الفـــرات لواردٍ
وقـلـوب أبنـاء الـنـبـي ظـمـــــــاء
كـم حـــرة نهـب العـــدى أبيـــاتهـــا
وتقـــاســـمت أحـــشـــائهـــا الأرزاء
هتـفت تثـيـر كـفـيلهـا وكـفـيلهـا
قـد أرمـضـتـه في الثـرى الرمـضـاءُ
فـإن يكن إسـمـاعـيل أسلم نفـسـه
ليـذبح في الحـجـر الذي هـو راحـمـه
فـــعـــاد ذبيحُ الله حـــقـــاً ولم تكن
تصـــافـــحـــه بيضُ الظبى وتســـالمه
ومـن دون دين الله جـــاد بنفـــســـه
وكـل نفـــيس كي تشـــأ دعـــائمـــه
ورضـت قـــراه العـــاديات وصـــدره
وسـيقت على عـجف المطايا كـرائمـه

وتوالت كتب التاريخ تنقل هذهِ الفاجعة الكبرى والجريمة العظمى وما جرى على ابن بنت المصطفى، ولم يكتفوا بذبحه بل رضوا الجسد الذي كان شبيهاً بجسدِ رسول الله ﷺ.

وحُمل الرأس المقدس على رمح طويل، وهو أول رأسٍ يحملُ في الإسلام ويطاف به في البلاد، وقد ذكر النبي ﷺ ذلك إذ كان جالساً في المسجد فدخلت جماعة من قريش معهم عمر بن سعد، فتغير وجهه وحاله صلوات الله تعالى عليه وعلى آله، فقالوا : يا رسول الله ما أصابك؟ فقال : إني ذكرت ما يلقى أهل بيتي من قتل وضرب وشتم وتطريد وتشريد، وإن أول رأس في الإسلام يحملُ على الرمح، رأس ولدي الحسين[1].

ومن هنا بدأت مصائب رأس أبي عبدالله الإمام الحسين

---

(١) كشف الغمة ج٢ ص٢١٨، الإرشاد للمفيد ص١٣٢، بحار الأنوار ج٤٤ ص٢٦٣، وذكر ذلك ابن قولويه في كامل الزيارات ص٧٤، والصدوق في آماليه ص١١٥ ، والمجلسي أيضاً في البحار ج٤٤ ص ٢٥٦ ذكر أن عمر بن سعد كان صبياً يدرج بين يدي أبيه وذلك في زمان ولاية أمير المؤمنين، وكذلك ذكر ابن معين : أن عمر بن سعد قد ولد في السنة التي مات فيها عمر بن الخطاب كما جاء في التهذيب، والحقُ عند التأمل ان عمر بن سعد ما كان في زمن الرسول، وأن الجماعة التي دخلت على النبي لما كان في المسجد، كان فيهم سعد بن أبي وقاص والد عمر بن سعد وأن النبي لطالما كان جبرائيل يحدثه بما سيجري والنبي بعلم النبوة والعصمة كان يعلم ما سيجري على أهل بيته، ويعلم بما عند الداخلين عليه، وما يحملوه في أصلابهم من ذرية طاهرة أو نجسة، وها هو يرى سعد بن أبي وقاص، ويعلم ما في صلبه من شرٍ وهو ولده عمر بن سعد الذي قتل الحسين عليه السلام .

صلوات الله تعالى عليه، وعلى رأسهِ الطاهر وجسدهِ الطاهر وروحه المطمئنة الطاهرة.

وقد ذكر الخوارزمي في مقتلهِ إن عمر بن سعد بن أبي وقاص، أمر بقطع رأس الحسين عليه السلام وهو على آخر رمقٍ من حياته، فوالله الذي لا إله إلاّ هو لو تركوه لما طال الأمر به، وفارقت روحه الطاهرة الدنيا، لِما كان به من كثرة الجراح، وأن السهم المثلث الذي أصابه كان قد أرهقهُ وأضعفه. لكن حقدهم دفعهم إلى قطع الرأس، وحملهِ على الرمح. وها هو محمد بن عمرو بن الحسن عن أبيه يحدث وإليك الخبر بتمام سنده .

أخبرنا أبو الحسن أحمد بن علي العاصمي، عن إسماعيل بن أحمد البيهقي، عن أبيه حدثنا الحسين بن محمد، حدثنا اسماعيل بن محمد، حدثنامحمد بن يونس حدثنا أبو أحمد الزبري حدثني عمي فضيل بن الزبير، عن عبدالله بن ميمون، عن محمد بن عمرو بن الحسن، عن أبيه قال : كُنا معَ الحسين عليه السلام بنهر كربلاء، فنظر عمر بن سعد إلى شمر بن ذي الجوشن، وقال انزل واقطع رأس الحسين، فتقدم اللعين إلى الإمام الحسين فلما نظر إليه الحسين قال : الله أكبر، الله أكبر ! صدق الله ورسوله، حيث قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «كأني أنظر إلى كلبٍ أبقع يلغ في دماء آل محمد، وله شعر كشعر الكلاب

والخنـازيـر». فقال شمر لعنه الله : جدك يشبهني بالكلاب والخنازير وحمل على الإمام الحسين باثنتي عشرة ضربة على عنقه الشريف. والإمام الحسين إنما نبأ شمر بن ذي الجوشن بأنه الكلب الأبرص الذي رآه في منامه، وليعلم شمر بن ذي الجوشن أن الإمام الحسين عارفٌ به من جانب ومن جانب آخر، أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم نبأ بصفات قاتل الإمام الحسين عليه السلام .

وأما سنان بن أنس لما كان الحسين في تلك الحالة حمل على الحسين عليه السلام فطعنه بالرمح فصرعه، وقال لخولى بن يزيد احتز رأسه، فضعف وارتعدت يداه، فقال له سنان : فت الله عضدك وابان يدك، فنزل إليه شمر بن ذي الجوشن وكان أبرص فضربه برجله وألقاه على قفاه، ثم أخذ بلحيته الكريمة، وجعل يضرب بسيفه نحر الحسين عليه السلام.

وهو يقول :

أقتلك اليوم ونفسي تعلم
علماً يقيناً ليس فيه مزعم
ولا مجال ولا تكتّم
أن أباك خيرٌ من يكلّم

وما اكتفى ابن سعد بقتل الحسين بل عمدَ إلى سحق الجسد الطاهر بحوافر الخيل. حيث انتدب له عشرة فرسان منهم :

إسحاق الحضرمي، ومنهم الأخنس بن مرثد الحضرمي القائل في ذلك :

نحنُ رضضنا الظهر بعد الصدر
بكل يعبوب شديد الأسر
حتى عصينا الله ربَّ الأمر
بصنعنا معَ الحسين الطهر

فداسوا حسيناً بخيولهم، حتى رضوا صدره وظهره، فسئلوا عن ذلك فقالوا ذلك أمر الأمير عبيدالله بن زياد[١].

(٤٠) مقتل الخوارزمي ص٤٤ .

الفصل الخامس

مأساة الرحيل

وبدأت رحلةُ الرأس الطاهر من أرض كربلاء، تاركين الأبدان الطاهرة بالعراء من دون غسلٍ أو دفن، وصمم ابن سعد على إرسال الرأس الشريف إلى الكوفة، قبل وصول السبايا من النساء والأطفال، ليفرح ابن زياد بالنصر والظفر بالإمام الحسين، وتلك هي علامةُ نصرهم الزائف، حملُ الرؤوس على الرماح، ويقوم ابن سعد بدفع الرأس إلى خولي بن يزيد الأصبحي، ليحمله إلى عبيدالله بن زياد، ثم قام عمر بن سعد بتقسيم الرؤوس على القبائل لتتقرب بها إلى ابن زياد، وكان مجموع الرؤوس اثنين وسبعين رأساً. وكان شمر بن ذي الجوشن لعنه الله زعيماً وقائداً لقافلة الرؤوس، رؤوس آل بيت محمدٍ ونفرٍ من صحابة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ممن قتل مع الحسين بن علي عليه السلام، وكان مع شمر بن ذي الجوشن في حراسة الرؤوس قيس بن الأشعث، وعمرو بن الحجاج[1]. فتقدمت قبيلة كنده تحملُ ثلاثة عشر رأساً، وصاحبهم قيس بن الأشعث، وجاءت هوازن باثني عشر رأساً وصاحبهم شمر بن ذي الجوشن، وجاءت بنو تميم بسبعة عشر وبنو أسد بستة عشر، ومذحج بسبعة رؤوس وجاء آخرون من الناس بباقي

(١) مقتل الخوارزمي ج٢ ص٤٥ ـ ط قم لعام ١٤١٨هـ .

الرؤوس، ومنعت عشيرة الحر أن يُقطع رأس عميدها[١]، أو يُرضّ جسده[٢]. وأقبلت القبائل تتقرب إلى عبيدالله بن زياد، وكأن القوم يشعرون أن السعادة لا تتحقق لهم إلاّ بدماء الأولياء، ظناً منهم أنهم على صواب، وأن لهم الأجر العظيم عند الله، فعلى ماذا؟ ! فلست أدري.. أكان يزيد ريحانة النبي أم الحسين؟ ! !، وهل كان معاوية بن أبي سفيان هو الوصي للنبي أم علي بن أبي طالب؟ !، نعم تذكرت أنه كاتب الوحي عندهم.. الوحي الذي انقطع وانتهى بعدما جفت أقلامهم من تحريف كلام النبي .ﷺ نعم هو ذاك الذي حفظ عنه النسائي حديثاً قال فيه : قال النبي ﷺ : «لا أشبع الله له بطناً» والنبي إنما أراد أن يفضح هذا الرجل الذي دعاه ليكتب له، وما كان له به من حاجة والكُتّاب كانوا كثيرين حول النبي ﷺ، إنما أرسل وراءه ليكشف عن سوء حقيقته، ولأنه دعاه النبي ثلاث مرات فكان يبعث للنبي بجواب قولوا له أنه يأكل، فعندها دعا عليه النبي وقال : لا أشبع الله له بطناً ولم يكن له شأن أيام النبي ولا

---

(١) عميدها : وهو الحر بن يزيد الرياحي من عشيرة بني رياح، كان زعيم وعميد لعشيرته .

(٢) اللهوف ص٨١، عمدة القاري في شرح البخاري للعيني ج٧ ص٦٥٦ وفيه كان معهم عروة بن قيس .

حتى زمن وأيام الخليفة الأول. فإن الخليفة الثاني هو الذي ولاّه على بلاد الشام وجعله أميراً ووالياً عليها، فلما جاء الخليفة الثالث أقرّه على ولاية بلاد الشام، ولما جاء الإمام علي للخلافة، قال معاوية بن أبي سفيان للإمام علي تراجع يا علي فأنا خليفة رسول الله !!! نعم قد أخذها من النبي لما أطلقه هو وأبوه أبو سفيان وصاحبهم مروان، يوم فتح مكة إذ قال لهم النبي اذهبوا فأنتم الطلقاء، ومن ذلك الوقت، ومن تلك القضية عمد القوم إلى التقرب إلى يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، الذي ما عرف الإسلام بشيءٍ ولا عرفه الإسلام إلاّ متسلطاً جباراً شارباً للخمور، عاملاً بالفجور، منادباً للكلاب والقرود، وكان قد ألبسها سلاسل من الذهب، وهو القائل في حقِّ الخمر والصلاة :

دع المساجد للعباد تسكنها
واجلس على دكة الخمار واسقينا
ما قال ربك ويلٌ للذين شربوا
بل قال ربّك ويلٌ للمصلينا

ومن بعد أن تسلم يزيد الحكم والخلافة وولّى عبيد الله بن زياد على الكوفة، وقد كان ابن زياد قبل الكوفة والياً على البصرة ليزيد، وكان ابن زياد يُعرف بالقسوة والظلم الذي لا

يطاق ولا يحتمل، فقد كان يأتي بالمرأة، فيأمر بأن يُزنى بها في الشارع بمرأى من زوجها وأمام أعين الناس، ومن يتكلم يكون مصيره الموت[١]، وتصبح الكوفة تحت إمرة الأرجاس أمثال عبيدالله بن زياد.

ومن المؤسف المؤلم ترى القبائل تتقرب إلى أمثال هؤلاء، وبماذا؟ ! بأفجع أمرٍ وأفظع قضية.. برؤوس الأولياء أبناء الأنبياء.

وقام خولي بن يزيد الأصبحي بحمل الرأس المطهر منطلقاً به من كربلاء إلى الكوفة ليضعه بين يدي ابن زياد، ولكنه وصل الكوفة متأخراً ودخلها بالليل فوجد أبواب قصر الإمارة مغلقة، فذهب إلى بيته وكانت زوجته موالية محبّة لأهل البيت، فسألته عن غيابه؟ فقال لها : إن رجالاً تمرّدوا على الأمير عبيدالله بن زياد، وقد أبادهم جميعاً بقيادة عمر بن سعد، وأبشري فقد جئتك بخير الدنيا والآخرة، وعندما ألقى عبيدالله بن زياد وأحظى بالجائزة، أخبرك بالبشرى، وكان اللعين قد وضع رأس الإمام الحسين في التنور عند دخولهِ البيت من دون علم زوجته، وكان التنور بارداً فوضعه على الرماد، وعند منتصف الليل سمعت زوجته الموالية المحبة لأهل البيت، صوتاً وبكاءً ونحيباً، فلما خرجت إلى وسط الدار، رأت نوراً

(١) راجع مروج الذهب حياة عبيدالله بن زياد .

يسطعُ من التنور إلى عنان السماء، ورأت هودجاً قد نزل من السماء، وفيه نساء مجللات بالسواد، بينهن امرأة تبكي بحرقة، وتقول : ولدي حسين نور عيني حسين قتلوك عطشاناً ذبحوك وسلبوك. وأنشدت أبيات سمعتها هذه المرأة من الزهراء في تلك الليلة :

أيها العينان فيضا
واستهلا لا تغيظا
وابكيا بالطف مذبوحاً
ترك الصدر رضيضا
لم أمرضه فأسلوا
لا ولا كان مريضا

ففزعت لمّا رأت ذلك وذهبت مسرعة إلى زوجها، قائلةً ويحك يا ابن الأصبحي رأسُ مَن هذا الذي في التنور؟ ! فقال لها هذا رأس الحسين بن علي بن أبي طالب، وأمه فاطمة بنت رسول الله، قالت له : سوّد الله وجهك وتقول لي جئتك بالبشرى بخير الدنيا والآخرة، لا والله لا رأيت خيراً، وابشر بالخزي والعار في الدنيا والآخرة، ولن أجتمع معك تحت سقفٍ واحد بعد هذا اليوم، وفعلاً.. نال وبال أمره وأخزاهُ الله في الدنيا قبل الآخرة، لأنه لما دخل على ابن زياد ووضع رأس

الإمام الحسين عليه السلام بين يديه أنشد قائلاً :

امـــلأ ركـــابي فـــضـــةً وذهبـــا
إني قـــتـلـت الســـيـــد المهـــذبا
قـــتـلت خـــيـــر الناس أُمـــاً وأبا
وخـــيـــرهم إذ يـذكـــرون النســـبـــا[1]

---

(١) وذكر السيد عبدالرزاق المقرم في كتابه مقتل الحسين ذلك إن ابن زياد قتل خولي بن يزيد، واختلف كثير من المؤرخين في قتل عبيدالله بن زياد لخولي بن يزيد الأصبحي، أو قتل حامل الرأس وذاكر الأبيات وفي مرآة الجنان لليافعي ج١ ص١٣٣ : إن ابن زياد غضب عليه وقتله ولم يسم حامل الرأس وفي العقد الفريد ج٢ ص٢١٣ سماه خولي ابن يزيد الأصبحي وقتله ابن زياد لذلك، وعند ابن جرير الطبري ح٦ ص٢٦١ وابن الأثير ج٤ ص٣٣ أنه سنان بن أنس أنشدها على عمر بن سعد، وفي تذكرة الخواص ص١٤٤ قال له عمر : أنت مجنون لو سمعك ابن زياد لقتلك، وفي شرح المقامات للشريشي ج١ ص١٩٣ : أنه أنشدها على ابن زياد وفي مطالب السؤول لابن طلحة ص٧٦ زاد عليهما ومن يصلي القبلتين في الصبا، فغضب عليه ابن زياد وقتله، وفي رياض المصائب ص٤٣٧ : أن الشمر قائلهما. والحق عندنا أن قائل الأبيات هو خولي بن يزيد الأصبحي وأن ابن زياد أراد قتله لأنه أغضبه بكلامه لكنه قال له مالك عندي من شيء فعاقبه بالطرد وعدم اعطائه المال ولم يقتله لأنه سيأتي لاحقاً كيف تمكن من قتله المختار، وأن المختار بن عبيدالله الثقفي هو الذي ظفر به مختبئاً في داره واحتز رأسه. انتقاماً للإمام الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام .

فغضب ابن زياد وقال : فإذا علمت أنه كذلك لِمَ قتلته؟ والله لا نلت مني خيراً[١] فهذا ما كان من أمر الرأس المطهر إلى حين وصولهِ إلى الكوفة وأما الحوراء زينب وبقية بنات رسول الله فقد تجهز عمر بن سعد للرحيل بهم في اليوم الحادي عشر من المحرم سنة إحدى وستين للهجرة. ولأنه ما خرج من كربلاء إلاّ بعد صلاة الظهر لأنه كان منشغلاً بجمع قتلاه والصلاة عليهم ودفنهم، وبعد إتمام هذا الأمر تحرك بالسبايا من النساء والأطفال، متجهاً نحو الكوفة ليمتثل بين يدي أميره عبيدالله بن زياد، وترك آل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جثثاً بلا رؤوس، ولم يدفن من آلِ بيت النبي أحداً، حتى الطفل الرضيع، وما إن مرّ على الفاجعة ثلاثةُ أيام، والأجساد الطاهرة مقطعة، وبالدماء مضرجة، ولم يستطع أحد أن يتقدم لمواراتها، فإذا كان اليوم الثالث عشر من المحرم الحرام، أقبلت امرأة من نساء بني أسد إلى نهر العلقمي[٢] لتحمل الماء إلى أهلها، وإذا بها ترى جسداً مقطوع الراس واليدين، يشعُ منه النور، وتفوح رائحة المسك دُهشت المرأة وفزعت لهول ما رأت، ثم أسرعت إلى قومها

---

(١) مناقب ابن شهرآشوب ج٢ ص ١٨٩ ط إيراه عن آمالي المفيد النيسابوري.

(٢) نهر العلقمي : هو فرع من نهر الفرات، وهو النهر الذي سقط عليه قمر بني هاشم أبا الفضل العباس.

تُخبرهم بما رأت، وتحفزهم على دفن هذه الجثث الطواهر. أقبل القوم مسرعين أرادوا دفن الجثث، لكنهم ما عرفوها، وتحيروا من أن يختلط عليهم الأمر.. من يا ترى الزعيم فيهم.. بل من الرئيس والكبير والسيد فيهم، فوقفوا في حيرة تأخذهم أخرى، في كيفية دفن هذه الأجساد.. إذ لابد من خصوصيةٍ للكبير والسيد فيهم، ولأن هذه الأجساد ليست أجساداً عادية إذ الجسد العادي إذا خرجت منه الروح وأصابته حرارةُ الشمس أتلفته، وصدر منه رائحةٌ كريهة. بينما جسد الحسين عليه السلام و الأجساد الباقية، ما أتلفتها الشمس ولا صدر منها رائحة كريهة، بل كان يصدر منها رائحةُ المسك، ويشعُ منها النور. وهذا الأمر هو الذي جعل بني أسد في حيرةٍ من أمرهم، وبينما هم على هذهِ الحالة، إذ أقبل الإمام زين العابدين بن علي بن الحسين عليه السلام لدفن هذه الأجساد، فدفنهم بمساعدة بني أسد[1].

ولم يكن الرأس الشريف مع السبايا من آل بيت النَبي صلى الله عليه وآله ولم يعلموا ماذا حصل له بعد خروجهِ إلى أن التقوا جميعاً في قصر الإمارة عند عبيدالله بن زياد وذلك بعدما ساقهم القوم، وما رعوا للنبي حرمةً ولا ذماما حتى إذا بلغوا

(١) سيأتي التفصيل لاحقاً إنشاء الله في الكتاب اللاحق .

بهم الكوفة خرج الناس ينظرون إليهم، وجعلوا يبكون ويتوجعونَ، وعلي بن الحسين مريض، مغلول مكبلٌ بالحديد، قد أنهكته العلّة، فقال : «ألا إن هؤلاء يبكون ويتوجعونَ من أجلنا، فمن قتلنا إذن»؟

وذكر أبو علي السلامي، عن البيهقي صاحب «التاريخ» : أنَّ السنة التي قُتل فيها الحسين عليه السلام وهي سنة إحدة وستين والتي سميت «بعام الحزن»[1] .

---

(١) مقتل الخوارزمي ج٥٦٢ ص٤٥ .

الفصل السادس

الأثر الدامي

قتلُ سبط رسول الله وريحانته، وعزيز الزهراء، وابن المرتضى وسلوته وأعلنت الأرض حزنها، والسماء شجوها، لمصاب ابن المصطفى، فيا ترى ما الذي جرى للكون، أرى السماءَ قد أظلمت وشابتها حمرةٌ يتلوها سواد، يتعقبها ريحٌ عالية، ما نرى ماذا جرى؟ يا الله.. !! السماءُ تمطر دما، ألقتل الحسين هذا؟ أم هي الساعة، قد أفصحت عن وقتها؟ كلا بل لقتل الحسين هذا، فَلِمَ العجب، ها هي أم سلمة تراقب ما أعطاها رسول الله ﷺ، وها هو التراب الذي أخذته من النبي وأمرها أن تجعلهُ في قارورة وأن تراقبه فمتى فارت القارورة وتحوّل التراب إلى دم عبيط فذاك علامةٌ لقتل الحسين عليه السلام، وها هي تراقب وتتألم والحسرة والحزن يملأ قلبها والتساؤلات تحيط بها، يا حسين كيف مرت بك الأيام يا ولدي؟ ولكن كان قلبي يؤلمني لما عزمت على الرحيل، وددت أن الرياح تحملني إليك وارى ما كان من أمرك، وأمر العيال، وفي لحظة واحدة، تحول التراب الذي في القارورة إلى دمٍ عبيطٍ، وفارت القارورة بالدم عندها عادت بها الذكريات إلى أيام النبي.. يا أم سلمة خذي هذه .. من تراب قبر ولدي الحسين، احفظيها عندك، فإذا رأيتها

تحولت إلى دمٍ عبيطٍ فاعلمي أن الحسين قتل بأرض كربلاء. ومن ذلك الوقت أخذت اللوعة تملأ قلب أم سلمة والحزن علاها إلى أن ماتت في نفس تلك السنة حزناً على الحسين وتعايشاً مع أم سلمة في أحزانها على الحسين عليه السلام[١] .

يا الله ماذا أرى صدقت يا مولاي يا رسول الله بما أخبرتني. وها هو التراب يتحوّل إلى دم[٢]. واحسيناه واولداه، ماذا تصنع الآن، المنظر أدهشَ أم سلمة وأحرق قلبها بل والله أفزعها، وها هي تتنبّأ بمقتل ولدها وابن رسول الله. فلم تتمالك نفسها فوقعت مغشياً عليها. واستمر الحال وصارت الأرض بما عليها على الحسين حزينة وكئيبة، قد ترك المصاب أثره الدامي في كل شيء وفي كل مكان فما رفع حجر عن حجر إلاّ ووجد تحته دمٌ

---

(١) وفي تهذيب الأسماء للنووي ج٢ ص٣٦٢ عن أحمد بن خيثمة أنها ماتت في ولاية يزيد بن معاوية، وفي مرآة الجنان لليافعي ج١ ص١٣٧ توفيت أم سلمة سنة ٦١هـ، وعلى ما ذكره ابن كثير في البداية والنهاية، وابن كثير في الكامل في التاريخ بما في أحاديثهم أنها عاشت إلى ما بعد قتل الحسين بيسير. والذي أراه أنها ماتت حزناً وألماً على فراق الحسين وما جرى له بل لم تحتمل خبر قتلهِ بأرض الغربة والكرب والبلاء. فماتت قهراً وألماً وحزناً رضوان الله تعالى عليها .

(٢) مرأة الجنان لليافعي ج١ ص١٣٤ وكذلك التاريخ لابن الأثير ج٤ ص٣٨ ومقتل الخوارزمي ج٢ ص٩٥ .

عبيط، وذلك لأجل قتل الحسين عليه السلام وبقائه عارياً على وجه الصعيد ثلاثاً وهو علة الكائنات، ولاشتقاقه من النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فلهذا أظلمت الدنيا ثلاثة أيام واسودّت سواداً عظيماً حتى ظن الناس أن القيامة قامت، وبدت الكواكب نصف النهار وأخذ بعضها يضرب بعضا[1].

---

(١) تاريخ ابن عساكر ج٤ ص٣٣٩، الصواعق المحرقة ص١١٦، الخطط المقريزية ج٣ ص٢٨٩، وتذكرة الخواص ١٥٥، المقتل الخوارزمي ج٢ ص٩٠.

الفصل السابع

الرأس الشريف يكشف الأحقاد

لو يتسنى لبعض الطغاة محاربة الله ومبارزته، والنيل منه لأنه أزعجهم ببعض الرسل لا لمجرد البلاء. لفعلوا ذلك، وما قصروا، فإن حالة الكفر تجر بصاحبها إلى التحدي، فيظهر بذلك حقده وقسوة قلبه، إلاّ أن الأمر الذي يجدر بالنظر إليه، عدم وجود حد للحقد، وما يصل إليه، من البشاعة، وما يفعله بالمحقود عليه من الفظاعة، والحقد حقيقته عداوةٌ كامنةٌ في قلب الحاقد، مما يدل ذلك على أنّ الحاقد ليس بمؤمن لأن الإيمان والحقد لا يجتمعان في قلب واحد وعليه قول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم المؤمن ليس بحقود[1]. والحقد نار لا يطفئها إلاّ موت أو ظفر كما قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام معنى أن «الحاقد ليس هناك شيء يطفىء نار حقده إلاّ موت المحقود عليه أو النيل منه بسوء»[2] وكذلك قول الإمام علي عليه السلام الحقد سلاحُ للشر[3].

كما عزم فرعون أن يحارب الله من بعد أن يطلع عليه إذ قال الله تعالى حكايةً عنه ﴿**وقال فرعون ياهامان ابن لي صرحاً لعلي أبلغ الأسباب أسباب السموات فاطلع إلى إله موسى وإني لأظنه كاذباً وكذلك زُيّن لفرعون سوء**

---

(١) جامع السعادات ج١ ص٣٤٦ .

(٢) غرر الحكم ص٤٠ .

(٣) غرر الحكم ص٤٠ ـ ميزان الحكمة ج٢ ص٤٥٧ .

عَـملِهِ وصُـد عن السـبـيـل ومـا كـيـد فـرعـون إلاّ في تباب﴾[1] .

وحقاً لهو سلاح وأي شر يحمل عبيدالله بن زياد وأي عداوةٍ لآل بيتِ رسول الله ﷺ . وللإمام الحسين عليه السلام بالذات، والموقف الذي هو فيه يكشف عن حقده الدفين لآل رسول الله، فيأتي مقبلاً من معسكره بالنخيلة، ويجلس على سريره فيوضع بين يديه رأس ابن بنت رسول الله، فيأخذ بالنظر إليه شامتاً ضاحكاً فرحاً مسروراً، لكن ماذا يصنع، رأس الحسين بين يديه؟ !! لا هذا لا يكفي فما زالت النار مشتعلة في باطنه الفاسد، والحقد يغلي في قلبه الأسود القاسي، فماذايصنع؟ !! مد يدهُ النجسة وفي قبضتها قضيبٌ من حديد، يا الله ماذا تراه يريد أن يصنع، أحقاً يريد ضرب الرأس؟ نعم هو كذلك أخذ يضرب ثنايا أبي عبدالله الحسين، يا الله وبمرأى من بنات رسول الله أخوات الحسين بنات الحسين حرم الحسين.

ساعد الله قلب الرباب، ما تراها قد صنعت، نعم صنعت ما تصنعه الزوجة المتفانية في حب زوجها همت على رأس أبي عبدالله وألقت بنفسها عليه وأخذت الرأس وضمته إلى صدرها، أبا عبدالله فداك نفسي، أيصنع هذا برأسك، ماذا

---

(١) الآيات ٣٦ ـ ٣٧ من سورة غافر .

تصنع مثل الرباب أكثر من هذا الصنيع ومن مثلها أسيرة لا حول لها ولا قوة، والرأسُ في حجرها قد ضمتهُ إلى صدرها تشمه مرة وتقبله أخرى، منشدةً :

واحسيناه فلا نسيت حسيناً

أقصدته أسنةُ الأعداء

غادروه بكربلاء صريعاً

لا سقى الله جانبي كربلاء[١]

وزاد حقد ابن زياد لما رأى من آل رسولِ الله ﷺ وحوار العقيلة زينب بنت علي بن أبي طالب معه، وخطبتها في الكوفة وحوار الإمام علي بن الحسين زين العابدين، وتصميم ابن زياد على قتله لولا أن الحوراء زينب عمته تعلقت به وقالت : يا ابن زياد حسبُك ما سفكت من دمائنا، وإن عزمت على قتله فاقتلني قبله[٢] .

---

(١) تذكرة الخواص ص١٤٨، وذكرت الأبيات في الحمامة البصرية ج١ ص٢١٤ رقم ١٨ باب المراثي حيث نسبت هذين البيتين إلى عاتكة بنت نفيل زوجة الحسين ! فإنه لم يذكر الثقات أن الإمام الحسين قد تزوج بعاتكة بنت نفيل، بل الحق أن الرباب هي التي ألقت بنفسها على الرأس وأنشدت الأبيات.

(٢) راجع الصواعق المحرقة ص١١٨، تاريخ الطبري ج٦ ص٢٦٢ـ البداية والنهاية لابن كثير ج٨ ص١٩٠ ومجمع الزوائد ج٩ ص١٩٥ ـ تاريخ ابن عساكر اللهوف ص٩٠ .

فتركه ابن زياد ولم يقتله، ودفعه حقده إلى زجهم بالسجن، ثم يأمر بهم مرة أخرى بالحضور عنده، وطيلة هذه الفترة والرأس الأطهر بين يديه، فلما دخلوا عليه رأوا أن الرأس المقدس مازال بين يديه، فيا لعنة الله عليك يا ابن زياد وكأنه لا يتصرف هذا التصرف من ضرب ثنايا الحسين وشفتي الحسين، إلاّ أمام بنات رسول الله وأطفال الحسين، وهذا هو الحقد الذي يكشفه رأس الحسين، من تصرف ابن زياد لعنة الله تعالى عليه حتى أنكر عليه ذلك زيد ابن أرقم صاحب رسول الله ﷺ قائلاً : ارفع قضيبك هذا يا ابن زياد عن هاتين الشفتين فوالله الذي لا إله إلاّ هو لقد رأيت شفتي رسول الله على هاتين الشفتين يقبلهما، وبكى لما رأى من ابن زياد، إلاّ أن ابن زياد نهرهُ وطرده وأراد قتله[1] ولم يكتفِ ابن زياد بذلك بل زاد عليه حقده ودفعه ظلمه، وحثه بغيه إلى صلب الرأس بباب قصر الإمارة ثلاثة أيام.

---

(١) راجع المصادر نفسها .

الفصل الثامن

الرأس الشريف
يتحدى الطغاة

وما أن صار لابن زياد ما أراد وحقق من رأس الحسين بن علي بن أبي طالب ما تمنى وما دفعهُ إليه حقده وعدوانه. قام فجمع الناس، في المسجد الأعظم[١]، وخطب بالناس، مستبشراً فرحاً بنصره الذي يسميه نصراً، فما أن كشف عن أحقاده وبان ما وراءهُ من قتل أولاد الأنبياء ورأس الحسين بين يديه مرة، ومرة معلقٌ على باب قصره، وكان ذلك الموقف سبباً إلى تحديه من قِبل عبدالله بن عفيف الأزدي[٢] .

وكان من رؤساء الشيعة وخيارهم، قد ذهبت عينه اليسرى يوم «الجمل»، والأخرى يوم «صفين»، وكان لا يكاد يفارق المسجد الأعظم، يصلي فيه إلى الليل، ثم ينصرف إلى منزله، فلما سمع مقالة ابن زياد، وثب إليه، وقال : يا بن مرجانة ! إنَّ الكذاب وابن الكذاب أنتَ وأبوك، ومن استعملك وأبوه، يا عدو الله ورسوله ! أتقتلون أبناء النبيين وتتكلمون بهذا الكلام على منابر المسلمين؟

فغضب عبيدالله بن زياد، وقال : من المتكلم؟ فقال : أنا المتكلم يا عدو الله ! أتقتل الذرية الطاهرة الذين قد أذهب الله

---

(١) المسجد الأعظم هو مسجد كبير في الكوفة، فيه مقامات كثيرة للأنبياء وفيه المحراب الذي قتل فيه الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام .

(٢) مقتل الخوارزمي ج٢ ص٥٩ ـ الطبري ج٦ ص٢٦٣ ـ اللهوف .

عنهم الرجس في كتابه، وتزعم أنك على دين الإسلام؟ واغوثاه ! أين أولاد المهاجرين والأنصار، لينتقموا من هذا الطاغية، اللعين بن اللعين على لسان رسول الله رب العالمين؟ فازداد غضب ابن زياد حتى انتفخت أوداجه.

فقال : عليَّ به، فوثب إليه الجلاوزة فأخذوه، فنادى بشعار الأزد؟ يا مبرور ! وكان عبدالرحمن بن مخنف الأزدي في المسجد، فقال : ويح نفسك ! أهلكتها وأهلكت قومك. وحاصر الكوفة يومئذ سبعمائة مقاتل من الأزد، فوثبت إليه فتيةٌ من الأزد فانتزعوه منهم، وانطلقوا به إلى منزله، ونزل ابن زياد عن المنبر ودخل القصر، ودخلت عليه أشراف الناس، فقال : أرأيتم ما صنع هؤلاء القوم؟ قالوا : رأينا أصلح الله الأمير، إنما فعل ذلك الأزد[1]، فشد يدك بسداتهم فهم الذين استنقذوه من يدك.

فأرسل عبيدالله إلى عبدالرحمن بن مخنف الأزدي فأخذه، وأخذ جماعة من أشراف الأزد فحبسهم، وقال، لا خرجتم من يدي أو تأتوني بعبدالله بن عفيف، ثم دعا بعمرو

---

(١) بمعنى أن الفعل المشين كله من ذلك الرجل الأزدي وأن عبدالله بن عفيف الأزدي هو الذي أثار الشغب وأحدث الفتنة، ولقد رأينا ذلك كله أيها الأمير وان الحق على عبدالله بن عفيف الأزدي، ثم أخذوا يدفعوه لقتالهم.

بن الحجاج الزبيدي، ومحمد بن الأشعث ؛ وشبث بن ربعي ؛ وجماعة من أصحابه، فقال لهم : اذهبوا إلى هذا الأعمى الذي أعمى الله قلبه كما أعمى عينيه، فأتوني به. فانطلقوا يريدون عبدالله بن عفيف وبلغ الأزد ذلك، فاجتمعوا وانضمت إليهم قبائل من اليمن ليمنعوا صاحبهم، فبلغ ذلك ابن زياد، فجمع قبائل مضر وضمهم إلى محمد بن الأشعث، وأمرهُ أن يقاتل القوم، فاقبلت قبائل مضر، ودنت منهم اليمن فاقتتلوا قتالاً شديداً، وبلغ ذلك ابن زياد، فأرسل إلى أصحابه يؤنبهم ويضعفهم، فأرسل إليه عمرو بن الحجاج يخبره باجتماع اليمن معهم، وبعث إليه شبث بن ربعي : أيّها الأمير ! إنك بعثتنا إلى أسود الآجام فلا تعجل.

قال : واشتد اقتتال القوم حتى قتلت جماعة من العرب، ووصل القوم إلى دار عبدالله بن عفيف فكسروا الباب، واقتحموا عليه، فصاحت ابنته : يا أبتي أتاك القوم من حيث تحذر، فقال : لا عليك يا بنية ! ناوليني سيفي، فناولته السيف، فجعل يذبُّ عن نفسه، وهو يقول :

أنا ابن ذي الفضل عفيف الطاهر
عفيف شيخي وأنا ابن عامر

كم دارع من جمعكم وحاسر
وبطل جدّلته مغاور

وجعلت ابنته تقول : ليتني كنتُ رجلاً فأقاتل بين يديك هؤلاء الفجرة، قاتلي العترة البررة، وجعل القوم يدورون عليه من يمينه وشماله وورائه، وهو يذبُّ عن نفسه بسيفه فليس أحد يقدم عليه، كلما جاءوه من جهة، قالت ابنته : جاءوك يا أبتي من جهة كذا، حتى تكاثروا عليه من كل ناحية، وأحاطوا به، فقالت ابنته : واذلاه ! يحاط بأبي، وليس له ناصر يستعين به، وجعل عبدالله يدافع ويقول :

والله لو يكشف لي عن بصري
ضاق عليكم موردي ومصدري

ومازالوا به حتى أخذوه، فقال جندب بن عبدالله الأزدي صاحب رسول الله ﷺ إنا لله وإنا إليه راجعون، أخذوا والله عبدالله بن عفيف، فقبح الله العيش بعده. فقام وجعل يقاتل من دونه، فأُخذَ أيضاً وانطلقوا بهما، وابن عفيف يرددّ : والله لو يكشف لي عن بصري ضاق عليكم موردي ومصدري.

فلما أُدخل على عبيدالله، قال له : الحمدُ لله الذي أخزاك، فقال ابن عفيف : يا عدوَّ الله ! بماذا أخزاني، والله، لو يكشف عن بصري ضاق عليكم موردي ومصدري، فقال له :

ما تقول في عثمان؟ فقال : يابن مرجانة ! يابن سميّة[١] ! يا عبد بني علاج ! ما أنت وعثمان؟ أحسن أم أساء، وأصلح أم أفسد، الله ولي خلقه يقضي بينهم بالعدل والحق، ولكن سلني عنك وعن أبيك، وعن يزيد وأبيه.

فقال ابن زياد : لا سألتك عن شيء أو تذوق الموت، فقال ابن عفيف : الحمد لله رب العالمين، كنتُ أسأل الله أن يرزقني الشهادة قبل أن تلدك أمك مرجانة، وسألته أن يجعل الشهادة على يدي ألعن خلقه وأشرهم وأبغضهم إليه، ولما ذهب بصري يأستُ من الشهادة، أما الان فالحمد لله الذي رزقنيها بعد اليأس منها، وعرفني الاستجابة منه لي في قديم دعائي.

فقال عبيدالله : اضربوا عنقه، فضربت وَصُلب.

ومحطةُ تختمُ بها حياة الصالحين والمتقين، شهادة على يدِ الفجار والظالمين الذين كفروا برب العالمين والذين هم من رحمة الله مطرودون، قد قتلوا الكثير من الصالحين، أمثال عبدالله بن عفيف الأزدي رضوان الله تعالى عليه. والحياة موقف والموقف

---

(١) إنما خاطبه عبدالله بن عفيف الأزدي وناداه بهذا النداء يا ابن مرجانة يا ابن سميّة يريد أن يذكره بأصله أو يقول له أنت يا ابن الزنا يا ابن العاهرات فأمك مرجانة وجدتك سمية وسمية أم زياد ابن أبيه وهن أعرف من أن يُعرفن مشهورات بالزنى والفاحشة.

هو المحك لمعادنِ وأصل الرجال، فمن طاب معدنه وحَسُن أصله فالموقف كاشفٌ عنهُ بأنهُ حسنٌ، ومن ساء معدنه وقبح أصله فالموقف كاشفٌ عنه بأنه سيء. ورأسُ الإمام الحسين عليه السلام وما جرى عليه لأعظمُ موقف، يكشف عن الأصل الحسن من الأصل السيء. ومواقف رأس الإمام الحسين عليه السلام عبرت عن التحدي للطغاة، بكل ما امتلكوا من قوةٍ وصفاتٍ رذيلة .

الفصل التاسع

لماذا الرأس يطوف البلاد

للحق دولة وإن طالت، وللباطل جولة وإن قامت، وبين الفكرة والكلمة وبين الكلمة والفعل نرى تيارات الغي تمتدُ في الأفق، فلا تستمر حتى يتنزلَ الغيث ليكشف ما خلفهُ الغي من أثر، ويشرق نور الله في الأرض ليأخذ بالحقِ لأهلهِ، فدولة الباطل وحكمُ الطغاةِ من آلِ أبي سفيان لا يدوم إلاّ بدماء الأزكياء من آل محمد ﷺ وإيذائهم، ظناً منهم إن الإعلام سيكون لصالحهم فيطوفون بالسبايا والرؤوسِ الطاهرة من بلدٍ إلى بلد.

فزهوة النصر التي يفرحون بها، ونزوة الكفر التي يتحركون لأجلها دفعتهم إلى نقل الرؤوس والسبايا في البلاد، ولكن سرعان ما باءوا بغضبٍ من الله ورسوله ولطالما كانوا يرون المعاجز والآيات والبراهين تظهر لهم، ولكن لا يزدادون إلاّ إصراراً على المعصية، وتمسكاً بالرذيلة، فيعمدُ عبيدالله بن زياد إلى ترحيل بناة الوحي والرسالة من الكوفة إلى الشام.

فدعا عبيدالله بن زياد زحر بن قيس الجعفي[1]، فأعطاه

(١) وذكر ابن حجر العسقلاني في كتابه الإصابة : أن الذي حمل رأس الإمام الحسين عليه السلام إلى يزيد بن معلوية لعنهما الله، هو مجبر بن مرة بن خالد بن قناب بن عمر بن قيس بن الحرث بن مالك بن عبيدالله بن خزيمة بن لؤي، وعلى أي حال فإن اختلف أرباب الحديث والتاريخ في اسم حامل الرأس إلى يزيد، فإن المهم هو معرفة وتثبيت حمل الرأس، وفعلاً سبق الرأس الشريف مع رؤوس آل بيت النبي السبايا حين الخروج من الكوفة.

رأس الحسين عليه السلام، ورؤوس إخوته وأهل بيته وشيعته، ودعا بعلي بن الحسين فحمله وحمل عماته وأخواته وجميع نسائهم معه إلى يزيد، فسار القوم بحرم رسول الله من «الكوفة» إلى بلد «الشام» على محامل بغير وطاء، من بلد إلى بلد، ومن منزل إلى منزل، كما تُساق الترك والدَّيلم، وعلي بن الحسين زين العابدين مغلولة يداهُ إلى عنقهِ، وعياله معهُ على حالة تقشعرُ منها الأبدان[1]، وكان معهم شمر بن ذي الجوشن ومجفر بن ثعلبة العائدي، وشبث بن ربعي، وعمرو بن الحجاج، وجماعة آخرون، وأمرهم ابن زياد أن يرفعوا الرؤوس ويشهروها في كل بلد يأتونها، فجدوا السير حتى لحقوا بهم في بعض المنازل[2]، وحينما تظهر معجزة يشهدها القوم بأنفسهم، ولا من متعظ أو خاشع لأمرِ الله دل ذلك على كفر القوم وخروجهم من رحمةِ الله، وها هو ابن لهيعة يحدث أنه رأى رجلاً متعلقاً بأستار الكعبة يستغيث بربّه ثم يقول : ولا أراك فاعلاً، يقول ابن لهيعه : فأخذته ناحية وقلت : إنك مجنون فإن الله غفور رحيم، ولو كانت ذنوبك عدد القطر لغفرها لك، فقال له اعلم كنت ممن سار برأس الحسين إلى الشام، فإذا

---

(١) تاريخ القرماني ص١٠٨ ـ مرأة الجنان لليافعي ج١ ص١٣٤ .

(٢) الإرشاد للمفيد .

أمسينا وضعنا الرأس وشربنا حوله، وفي ليلة كنت أحرسه وأصحابي[١] رقود، فرأيت برقاً وخلقاً طافوا بالرأس. ففزعت وأدهشت، ولزمت السكون، فسمعت بكاءاً وعويلاً وقائلاً يقول : يا محمد إن الله أمرني أن أطيعك فلو أمرتني أن أزلزل بهؤلاء الأرض كما فعلتُ بقوم لوط فقال له : يا جبرائيل إن لي موقفاً معهم يوم القيامة بين يدي ربي سبحانه، فصحت يا رسول الله الأمان الأمان فقال لي : اذهب فلا غفر الله لك فهل ترى الآن يغفر لي. ولو كان رسول الله ﷺ يعلم به خيراً ويرى أنه على توبةٍ نصوح لما طرده، ولو كان به خير ورأى هكذا معجزة وجب عليه أن يقتل الذين معهُ، ويعمل لرعاية السبايا ويحفظ الرأس أو يخبئه عن يزيد وغيره، ولكن للنار أهلها وللجنة أهلها. وفي بعض المنازل وضعوا الرأس المطهر فلم يشعر القوم إلاّ وقد ظهر قلم حديد من الحائط وكتب بالدم :

أترجوا أمة قتلت حسيناً

شفاعة جده يوم الحساب[٢]

---

(١) أي كان يحرس الرأس والذي معه .

(٢) مجمع الزوائد لابن حجر العسقلاني ج٩ ص١٩٩ ـ والخصائص للسيوطي ج٢ ص١٢٧ ـ وتاريخ ابن عساكر ج٤ ص٣٢٤ ـ الصواعق المحرقة ص١١٦ ـ الكواكب الدرية ج١ص٥٧ ـ الاتحاف بحب الأشراف ـ اللهوف ص٩٨ ـ تاريخ بغداد لابن النجار وتاريخ القرماني ص١٠٨ .

وبموضع آخر من بلاد الله التي أرسل إليها النبي محمد ﷺ ونُشرَ الإسلام فيها، وكان أهلها يقولون لا إله إلاّ الله محمد رسول الله، وترى رأس ابن بنت محمد يطوف فيها ويوضع على صخرةٍ فتنزل قطرة دمٍ منه تبقى مدة طويلة من الزمان، وفي كل سنة، في اليوم الذي قتل فيه الإمام الحسين ابن علي عليه السلام، تفور دماً ويأتيها الناس من كل مكان، ويقيمون المآتم والعزاء، ويكثر حولها البكاء والعويل، إلى أيام عبدالملك بن مروان حيث أمر بنقل الحجر، فلم ير له أثر بعد ذلك ولكنهم بنوا في محل الحجر قبة سموها (النقطة)[1] وتوالت العمارات على ذلك المسجد، وليظهر الله الحق لأوليائه ويهلك أعداءه في الدنيا والآخرة، فعن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام أنه قال : «احفظوا فينا ما حفظ العبد الصالح في اليتيمين لأبيهما الصالح، وقد ضيعت هذه الأمة حق رسول الله ﷺ بقتل أولاده» ولن يضيع الله دماءَ أولاد النبي محمد ﷺ، حيث قال مخاطباً الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام : «يا علي جعل الله ذرية كل نبي من صلبه وجعل

---

(١) نفس المهموم للشيخ عباس القمي ص٢٢٤ نهر الذهب في تاريخ حلب ج٣ ص٢٣ ـ وفي ج٣ ص٢٨٠ من نفس الكتاب ذُكر من شيد المسجد.

ذريتي منك يا علي. ولا عجب من أمر الله إذ ظهر، ليعتبر به أولو النُهى، فقد رؤي رجلٌ بلا يدين، ولا رجلين، وهو أعمى، يقول : ربي نجني من النار ! فقيل له : لم تبق عليك عقوبة وأنت تسأل النجاة من النار؟ قال : إني كنتُ في من قاتل الحسين بن علي في كربلاء، فلما قُتل ر أيتُ عليه سراويل وتكة حسنة، وذلك بعدما سلبه النَّاس، فأردت أن أنتزع التكة، فرفع يده اليمنى ووضعها على التكة، فلم أقدر على دفعها فقطعت يمينه، ثم أردتُ انتزاع التكة، فرفع شماله ووضعها على التكة، فلم أقدر على دفعها فقطعت شماله، ثم هممتُ بنزع السراويل، فسمعتُ زلزلة فخفت وتركته، فألقى الله عليَّ النوم، فنمتُ بين القتلى، فرأيت كأنَّ النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم أقبل ومعه علي ؛ وفاطمة، والحسنُ عليهم السلام، فأخذوا برأس الحسين فقبلتهُ فاطمة، وقالت : «يا بني ! أقتلوك؟ قتلهم الله»، وكأنه يقول : «ذبحني شمر، وقطع يدي هذا النائم» وأشار إليَّ .

فقالت فاطمة : «قطع الله يديك، ورجليك، وأعمى بصرك، وأدخلك النار» فانتبهتُ وأنا لا أبصر شيئاً، ثم سقطت يداي ورجلاي مني، فلم يبقَ من دعائها إلاَّ النار[1] .

---

(١) مقتل الخوارزمي ج٢ ص٨٠ .

ولم يتحقق ليزيد بن معاوية ووالية عبيدالله بن زياد وخادمهم عمر بن سعد ما تمنوا من فضيحة آل بيت النبي صلى الله عليه وآله والتنكيل بهم إذ طافوا بهم البلاد، فهم أرادوا الذلة والإيذاء والفضيحة لأهل البيت على أنهم عصاة وسبايا خوارج، ولكن الله فضح يزيد وأتباعه، لما عرف الناس أن السبايا سبايا آل محمد، ومهما شهروا بهم أو طافوا في البلاد .

الفصل العاشر

الشهيد يواصل برأسه الرسالة والجهاد

شاء الله سبحانه وتعالى أن يكون أصحاب الرسالات أولياءاً للهِ خُلصاً. إذ ما عرفت قلوبهم غير الله سبحانه وتعالى، وإلاّ لو كانت الدنيا تعدل عندهم شيئاً لما أعلى الله شأنهم، واختارهم لرسالاته، وهم الذين تم قول الله تعالى فيهم : ﴿**إنَّ الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنةِ التي كنتم توعدون نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدَّعون**﴾[1] فترى أنهم عملوا لله بكل طاقة وأعطوا لله كل شيء، حتى تساوى عندهم الفقر والغنى والصحة والمرض والوجود والعدم تفانياً في ذات الله، حتى إذا دنا أمرٌ لله فيه رضاً وللخلق فيه مصلحة قاموا بكل ما يمتلكون من قوةٍ وطاقة ساعين لله ابتغاء مرضاته، ومهما كلف الثمن، ومهما كبر العطاء، وعظم عليهم البلاء فلا يهمُ، فمن أجل إعلاء كلمة الله الواهب الخلاق. وقدمت لنا عاشوراء ببطلها المقدام أروع صورة وأقدس قضية، وأعز موقف حفظت فيه الرسالات التي جمعت في الإسلام، وحُفظ فيه المسلمون من الضياع، والرجوع إلى الجاهلية الأولى على أيدِي أولاد الطلقاء، فلم يكن الأمر كما يتصور البعض حرباً قامت بين

(٧١) سورة فصلت ٣٠ ـ ٣١ .

فئتين التقتا، أحداهما قامت من أجل رضا الله وصلاح العباد، وتلك هي فئة الإمام الحسين عليه السلام الذي كان النبي منه وهو من النبي، وقد تقدم ذلك. ووصيةُ الإمام الحسين إلى أخيه محمد ابن الحنفية قبل الخروج من المدينة تُفصح عن إرادته رضا الله وصلاح أمر الناس [1]. فحتى إذا قضى أمرُ الله وجاء الذي فيه حكمته وإرادته، ومضى الحسين بن علي بن أبي طالب شهيداً محتسباً، أوقدت دماؤه شعلةً للأحرار وإضاءتها، تنيرَ الدرب للأجيال، وترسم الطريق للأخيار لينهجوا نهجهم ويسيرون على دربهم. وترى أبي الضيم وسيد الشهداء شعلةً وضاءة يواصل حمل الرسالة، ويجاهد الظالمين في كل بقاع الأرض. ويوصل الإسلام إلى الناس وهو قتيلٌ كما كان يوصل الإسلام وهو حيٌّ وهنا يتجسد قول الشاعر :

ظنوا بأن قتل الحسين يزيدهم
لكنما قتل الحسين يزيدا

بل الإمام الحسين هو الذي قتل يزيد بالحق والنور الإلهي الذي كان يحمله رأسه المقدس ويوصلهُ لمستحقيه وطالبيه، وها هو الإمام علي بن الحسين زين العابدين يخبرنا كيف أن الإمام الحسين يواصل الرسالة والجهاد : أخبرنا عن الأئمة، بإسناده

(١) راجع العوالم ص٥٤، مقتل الخوارزمي ج١ ص١٨٨، مقتل المقرم ص١٣٩ .

الذي مرَّ آنفاً، عن زيد بن عليّ ؛ وعن محمد بن الحنفية، عن عليّ بن الحسين زين العابدين، أنه قال : «لما أتي برأس الحسين عليه السلام إلى يزيد، كان يتخذ مجالس الشرب، ويأتي برأس الحسين فيضعه بين يديه ويشرب عليه، فحضر ذات يوم أحد مجالسه رسول ملك الروم، وكان من أشراف الروم وعظمائها، فقال : يا ملك العرب ! رأس من هذا؟ فقال له يزيد : مالك ولهذا الرأس؟ قال :إني إذا رجعت إلى ملكنا، يسألني عن كلِّ شيء رأيته، فأحببتُ أن أُخبره بقصة هذا الرأس وصاحبه، ليشاركك في الفرح والسرور.

فقال يزيد : هذا رأس الحسين بن عليّ بن أبي طالب، فقال : ومن أُمه؟ قال : فاطمة الزهراء، قال : بنت من؟ قال : بنت رسول الله، فقال الرسول : أُف لك ولدينك ! ما دين أخسّ من دينك[1]، أعلم إني من أحفاد داود، وبيني وبينه آباء كثيرة، والنصارى يعظمونني، ويأخذون التراب من تحت قدمي تبركاً، لأني من أحفاد داود، وأنتم تقتلون ابن بنت رسول الله، وما بينه وبين رسول الله إلاّ أم واحدة، فأي دين هذا؟

---

(١) وإنما ذكر النصراني خساسة دين يزيد الذي كان هو عليه والا ليس في دين الإسلام خسة بل الخسة كلها في يزيد وما هو عليه وإن زعم يزيد أنه على دين الإسلام وإن الإسلام لمنه بريء.

ثم قال له الرسول القادم من الروم : يا يزيد ! هل سمعت بحديث كنيسة الحافر؟ فقال يزيد : قل حتى أسمع، فقال : ان بين «عمان» و«الصين» بحراً مسيرته سنة، ليس فيه عمران إلاّ بلدة واحدة في وسط الماء، طولها ثمانون فرسخاً، وعرضها كذلك، وما على وجه الأرض بلدة أكبر منها، ومنا يحمل الكافور والياقوت والعنبر، وأشجارهم العود، وهي في أيدي النصارى لا ملك لأحد فيها من الملوك، وفي تلك البلدة كنائس كثيرة، أعظمها كنيسة الحافر، في محرابها حقة[1] من ذهب، معلقة فيها حافر، يقولون : إنه حافر حمار كان يركبه عيسى، وقد زينت حوالي الحقّة بالذهب والجواهر والديباج والابريسم، وفي كل عام يقصدها عالم[2] من النصارى، فيطوفون حول الحقة ويزورونها ويقبلونها، ويرفقون حوائجهم إلى الله ببركتها، هذا شأنهم ودأبهم بحافر حمار يزعمون أنه حافر حمار كان يركبه عيسى نبيهم. وأنتم تقتلون ابن بنت نبيكم، لا بارك الله فيكم، ولا في دينكم ! فقال يزيد لأصحابه : اقتلوا هذا النصراني، فإنه يفضحنا إن رجع إلى بلاده ويشنع علينا، فلما أحسّ النصراني بالقتل، قال : يا يزيد ! أتريد قتلي؟ قال :

---

(١) الحقة « رمز للوزن » وهي تعادل ٤ كيلوغرام.

(٢) عالم : أي جمع كثير من الناس.

نعم، قال : فاعلم أني رأيتُ البارحة نبيكم في منامي، وهو يقول لي : «يا نصراني أنت من أهل الجنة». فعجبت من كلامه حتى نالني هذا، فأنا أشهد أن لا إله إلاّ الله، وأنَّ محمداً عبده ورسوله، ثم أخذ الرأس، وضمه إليه، وجعل يبكي حتى قُتل.

وروى مجد الأئمة السرخسكي، عن أبي عبدالله الحداد : أنَّ النصراني اخترط سيفاً، وحمل على يزيد ليضربه، فحال الخدم بينهما، وقتلوه وهو يقول : الشهادة الشهادة.

وفي طريقهم إلى الشام، مازال الشهيد يواصل الرسالة. وبينما هم يسيرون إذ جن عليهم الليل فنزلوا عند رجلٍ من اليهود، فلما شربوا وسكروا، قالوا له : عندنا رأس الحسين، فقال لهم : أروني إياه، فأروه إياه بصندوق يسطع منه النور إلى السماء، فعجب اليهودي، واستودعه منهم، فأودعوه عنده، فقال اليهودي للرأس ءوقد رآه بذلك الحالءِ : اشفع لي عند جدك، فأنطق الله الرأس، وقال : «إنما شفاعتي للمحمَّدين ولست بمحمدي»، فجمع اليهودي أقرباءه، ثم أخذ الرأس، ووضعه في طست وصبَّ عليه ماءِ الورد، وطرح فيه الكافور والمسك والعنبر.

ثم قال لأولاده وأقربائه : هذا رأس ابن بنت محمد، ثم قال : والهفاه ! لم أجد جدَّك محمداً فأسلم على يديه، ثم

والهفاه ! لم أجدكَ حياً فأسلم على يديك وأقاتل دونك، فلو أسلمتُ الآن أتشفع لي يوم القيامة؟ فأنطق الله الرأس، فقال بلسان فصيح : «إن أسلمت فأنا لك شفيع» قالها ثلاث مرات، وسكت، فأسلم الرجل وأقر بالشهادة[١].

أقول : لعلَّ هذا الرجل اليهودي كان راهب «قنسرين»، لأنه أسلم بسبب رأس الحسين عليه السلام، وجاء ذكره في الأشعار، وأورده الجوهري والجرجاني في مراثي الحسين.

وأعباءٌ على أكتاف الأولياء تتوالى وكأن لا قدرٌ ولا بلاء يحول بينها وبين مواصلة الجهاد، وكأنهم نسخةٌ منه[٢] قد طبعت، وصورةٌ، بل رسمت وعلى صفحات التاريخ قد نقشت، فلازالت، تبوح بتفجعها، فلا يبدوا منها إلاّ الأثر، الأثر الذي ثبتت حقيقتهُ، وكأن ليس هناك شيء اسمه قضاء، وقدر، يحول بينهم وبين مايُريدون ويحملون من رسالة هي رسالة السماء التي حملها سيدُ الأنبياء، وكان رحمة للرجال والنساء بل رحمة للعالمين كما قال تبارك وتعالى. ﴿**وماأرسلناك إلاّ رحمة للعالمين**﴾[٣].

---

(١) مقتل الخوارزمي ج٢ ص١١٦ .

(٢) منه : أي من الجهاد فما كانوا ينتهون عنه .

(٣) الأنبياء الآية ١٠٧ .

وهكذا كان ومازال الحسين رحمةً للعالمين دماً ينبض بالحياة، ومبادىء تعالت رغم المغريات، وإن أشلاءً قطعتها العاديات، فلابد أن تظهر من دماء الحسين الآيات، نعم تلك هي الدماء الزاكيات. فيقع على رأس الشهيد مُعرِض[1] فيرى أنها من النبوءات، ويقول أسلمت لله مهما كانت المجريات.

ويواصل الرأس المقدس خطوات الجهاد، فينزل القوم ومعهم رأس الشهيد والنساء المسبيات، إلى جنب صومعةِ راهبٍ، وإذا بالراهب يسمع تهليلاً وتسبيحات، فيخرج من صومعته، وإذا برأس يظهرُ منه المعجزات، ونور يتلألأ إلى أعنان السماء. يا إلهي ماذا أرى وما الذي أسمع ! ! تسبيحٌ وتهليل ! وقائلٌ يقول السلام عليك يا أبا عبدالله، ! فأسرع عند الصباح مستخبراً لمن هذا الرأس، فأجابه القوم أنه للحسين ابن علي بن أبي طالب، وأمه فاطمة بنت محمد النبي فقال تباً لكم أيتها الجماعة، صدقت الأخبار في قولها إذا قتل تمطر السماء دماً فأعطاهم من المال ما يريدون، وما إن صارَ الرأس بحوزتهِ نطق الشهادتين وأسلم، ولما غادروه نظروا إلى الدراهم التي أخذوها منه، فإذا هي مكتوب عليها ﴿**وسيعلم الذين ظلموا أي**

---

(١) المُعرض هو النصراني أو اليهودي الذي كانت عنده نبوءة لدخولهِ الإسلام.

منقلب ينقلبون﴾[١] ونحو الشام بالسبايا والرؤوس قد توجهوا، ويا غوثاه من الشام وما جرى فيها من المصائب عليهم.

وبرجاءٍ من سكينة بنت الحسين تطلب من حاملِ الرؤوس والزعيم[٢] عليهم أن يخرج الرؤوس من أوساط المحامل ليقل النظر إلى حرم الرسالة، فكان من اللعين شمر بن ذي الجوشن أن سار بهم بطريق كثيرة النظارة[٣].

وفي اليوم الثاني من شهر صفر دخل آل بيت رسول الله الشام. وفي طريق تَمرُ بجيرون حيث المتكىء ليزيد بن معاوية على منظرةٍ[٤] له، ينظرُ ويتطلع وقد تقاربت المحامل ودنت الرؤوس يتلو بعضها بعضاً، فلم يتمالك يزيد نفسه حتى أنشد قائلاً :

لما بدت تلك الحمول وأشرقت
تلك الرؤوس على رُبى جيرون
نعب الغراب فقلت صح أو لا تصح
فلقد قضيت من النبي ديوني

---

(١) تذكرة الخواص ص١٥٠ ، الآية الأخيرة من سورة الشعراء.
(٢) الزعيم على حملة الرؤوس : هو شمرُ بن ذي الجوشن.
(٣) النظارة أي المتفرجين الناظرين للسبايا.
(٤) منظرة : أي شرفة أو منصة فيها متكىء.

وذكر ابن حوقل[١] إن الجامع الأموي في دمشق ليس هناك في الإسلام أحسن منه، من ناحية السعة والبناء، وكان قبل ذاك مصلى للصابئين ثم صار لليونان يعظمون فيه دينهم ثم صار لليهود وملوك عبدة الأصنام، وباب هذا المسجد يسمى جيرون، صلب على هذا الباب رأس يحيى بن زكريا، وصلب على باب جيرون أيضاً رأس الحسين بن علي في الموضع الذي صلب فيه رأس يحيى بن زكريا. ولما كان أيام الوليد بن عبدالملك جعل و جه جدرانه رخاما.

وها هو الآلوسي[٢] يحكم بكفر يزيد بن معاوية لعنه الله من قوله فقد قضيت من النبي ديوني بمعنى انه قد استرد الدَّين الذي كان على النبي حيث قتل أجداده في بدر. ومن باب الساعات يدخلون وسهل بن سعد الساعدي يُقبلُ مسرعاً.. يا سبحان الله أعيدٌ في الشام لا نعرفه !! قالوا له لا بل سبايا يدخلون الشام الساعة فراح متسائلاً من أي باب يدخلون، قالوا من باب الساعات، أقبل صاحب رسول الله مسرعاً : فيرى

---

(١) ذكر ابن حوقل في كتابه صورة الأرض ص١٦١ طبعت أوفست التفاصيل عن تاريخ الجامع الأموي، ليصل إلى تسمية بابه المسماة باب جيرون.

(٢) الآلوسي في كتابه : روح المعاني ج٢٦ ص٧٣ في تفسير قوله تعالى : ﴿فهل عسيتم أن توليتم. . . ﴾ الخ الآية.

الرايات يتلو بعضها بعضاً نظر إلى العليل بالأغلال موصدا.. سيدي سيدي ألست علي بن الحسين زين العابدين؟ قال : بلى، فقال : مولاي أنا سهل بن سعد الساعدي ممن رأى وسمع جدك المصطفى فهل لك من حاجة؟ فقال : يا سهل هل عندك ثوب زائد، نعم سيدي أوينفعك هذا؟ ولم تريده؟ قال : يا سهل لأضعه تحت الجامعة[1] ، فإنها أكلت عنقي، يا سهل هل عندك دراهم؟ قال : نعم سيدي ومولاي وما تصنع بها؟ يا سهل ادفعها لحامل الرؤوس فقد خزينا من كثرة النظر إلينا.. ها هي النصرة الحقيقية من صاحب النبي صلى الله عليه وآله وسلم لزين العابدين علي بن الحسين، وها هو الجهاد الذي يواصله الشهيد برأسه الطاهر مع كل ما مرَ به ومرَ على عيالهِ السبايا، وقد شاركت السبايا والرؤوس في هداية وإصلاح كثيرٍ من الناس ، كما شاركت الحوراء زينب أخيها الحسين عليه السلام وفيها يقول الشاعر :

وتشاطرت هي والحسين بنهضةٍ
حكم القضاءُ عليهما أن يندبا
هذا بمشتبك النصال
وهذه من حيث معترك المكارهِ في السبا

---

(١) الجامعة : هي مجموعة من الحديد أطواق وسلاسل في عنق ويدين ورجلين الإمام زين العابدين عليه السلام .

ولرأسك يا أبا عبدالله مصيبة أضرت بقلب سكينة وفاطمة إذ يطيلان النظر إليه، ويزيد الطاغية بهما شامتٌ حتى انفجرتا بالبكاء عليه[١] ومنظرٌ منه[٢] مفزع، حيثُ قضيب الحديد بكفه يمسكهُ، وضرباً لثناياه راح يكرره، وأخذ ينشدُ اللعين أبياتاً يتشفى بها منتقماً لأشياخه الذين قتلهم النبىُ ببدر فأنشد قائلاً :

أبى قومنا أن ينصفونا فأنصفت
قواضب في أيماننا تقطر الدما
نفلق هاماً من رجال أعزة
علينا وهم كانوا أعق وأظلما[٣]

وفي مرة أخرى راح ينشد :

ليت أشياخي ببدر شهدوا
جزع الخزرج من وقع الأسل
لأهلّوا واستهلّوا فرحا
ثم قالوا يا يزيد لا تشل
قد قتلنا القرم من ساداتهم
وعدلناه ببدرٍ فاعتدل

---

(١) عليه أي على الرأس الشريف.

(٢) منه : أي من الطاغية يزيد.

(٣) مناقب شهر آشوب ج٢ ص٢٢٦.

لست من خِندفٍ[١] إن لم أنتقم
من بني أحمد ما كان فعل
لعبت هاشمٌ بالملك فلا
خبر جاء ولا وحي نزل

وراح أخرٌ يهنىء بقتل الحسين وهو مروان بن الحكم بن أبي العاص قائلاً :

يا حبذا بُرْدَكَ[٢] في اليدين
ولونك الأحمر في الخدين
كأنه بات بعسجدين[٣]
شفيت النفس منك يا حسين[٤]

---

(١) خِندف : أمرأة ترجعُ اليها العربُ بالأصاله .

(٢) البُرْد : هو الثوب الثمين، وقد ذكره مروان بصيغة التمني لما يمتلك الإمام الحسين من عز وجمال، ولما يمتلك من مال وحُسن في الوجه، فإن الثوب الثمين دليل العز، وحمرة الخدين علامة الجمال، فكان مروان اللعين من حسدهِ يتمنى حسداً عز الحسين وجمال الحسين بيديهِ وتحت ملكه.

(٣) العسجد هو : الذهب الذي تحيط به الجواهر كالدر والياقوت، وهو يصف جمال وجه الحسين وجمال خديه كأنه الذهب المرصع بالدر والياقوت.

(٤) رياض الأحزان ص٥٩، مثير الأحزان لابن نماص ص٥، واقتصر سبط ابن الجوزي على البيت الأول في حسين إن ابن حكم قائل هذين البيتين وهو القائل يا محمد يومٌ بيوم بدر، ولا غربة من ذلك فإن مروان معروف بعداوتهِ وهو طليق رسول الله وكان أيام النبي هارباً خارج المدينة لا يحق له الدخول إليها.

ورأسُ الإمام أبي عبدالله يُحرك الضمائر الحية، إذ كان جالساً في مجلس يزيد بن معاوية لعنهما الله لعن عادٍ وثمود، رجلٌ نصراني، فالتفت إلى يزيد قائلاً : رأس من هذا؟ فقال يزيد : رأس الحسين بن علي بن أبي طالب، ابن فاطمة بنت محمد، فقال النصراني : محمدُ النبي؟ فقال يزيد : هو ذاك. فقال النصراني : فأشهد أنكم على باطل فغضب يزيد من قوله واشتد غضبه لمارآه قام إلى الرأس وقبله وتشهد بالشهادتين فعندها عزم يزيد على قتله وقد أشار عليه بعض جلسائه أن لا تدعه فإن فارقنا، شاع في بلاده فضيحتنا، فأمر يزيد بقتله وعند قتله سمع أهل المجلس من الرأس الشريف صوتاً عالياً وفصيحاً (لا حول ولا قوة إلاّ بالله)[1].

---

(١) مقتل العوالم ص١٥١، في مقتل الخوارزمي ذكر حوار النصراني مع يزيد ولم يذكر كلام الرأس الأطهر. الصواعق المحرقة لابن حجر العسقلاني ص١١٩.

الفصل الحادي عشر

الرأس الشريف
ووداع الأحبة

وما إن صار ليزيد بن معاوية مبتغاه، وتحققت عنده الأمنيات من قتل آل النبي وإسالة الدماء الزاكيات، وإلقاء التهمة على ابن زياد نسل العاهرات في قتل الحسين وأهل بيته. ليتنسى له الخلاص من التُهم السارياتِ على أنه بريء من قتل الحسين وأبناء الطاهرات، ولكن الذي جرى لا يخفى والخبر في البلاد قد تفشى، ويزيد هو الذي ولّى ابن زياد على الكوفة، وأمر بقتل الحسين. ولما خاف يزيد المنقلب راح يعطي لآلِ رسول الله كل طلب، وقبل ذلك أخرجهم من القصر إلى خربةٍ موحشة، أسكنهم فيها، وكانت لا تقيهم من برد ولا من حرٍ حتى أضر بالجميع موقف الطفلة رقية، ولطالما كانت تسئل عن أبيها، والطفل إن فقد أباه فلا يرى غير السؤال وسيلة توصل إليه، وها هي عزيزة الحسين تنزل اليوم في خربةٍ موحشة، وقد نامت من شدة الجوع والألم والحزن والهم على فراق أبيها، ولطالما كانت بالقرب منه وها هي الآن تمر بلحظاتٍ كئيبة، منتبهة من النوم صارخةً باكية، لا تقبل من أحدٍ عذراً ولا من عمتها زينب تبريرا، إلاّ الجواب على سؤال طالما رددته طويلاً، صراخٌ من النساء قد علا، ومن طفلةِ الحسين حتى وصل إلى قصر الطاغية يزيد فتساءل عن الخبر قائلاً : لعل علي أبن الحسين قد مات؟، وذاك محتملٌ لأنه كان عليلاً، قالوا لا يا

يزيد طفلةٌ من أطفال الحسين تطلب أباها الفقيد، فقال لهم احملوا إليها رأس أبيها وإن كان دامي الوريد، ما مر زمان حتى بالرأس جاءوا وأمام الطفلة رقية قد وضعوه، يا الله لهذا الموقف، يا عمة زينب، لِمَ هذا الطشت، وأنت تعلمين أني ما لشيء طلبت، إلاّ أبي قرة عيني طلبت، فلا طعامٌ يحلو لي، ولا كلام يروق لي، إلاّ رؤية الغالي أبي، أوَهل أبى المجيءَ إليّ؟ أم غاب عني وراح بدربٍ بعيد؟.. لا ما أظن هذا، بل أحس بأن أبي مني قريب، وإن اللقاء وإن طال فلا بُد من رؤيا الحبيب. نعم بنية رقية، إن الحبيب لمنك قريب وما طلبت ليس عنك ببعيد، فياغوثاه لما سترى !!! رقية. عجباً عجباً لمن هذا الرأس ! ما أظنهُ عني غريباً ولا يمكن أن يكون بعيداً، نعم كأنه هو لا بل هو.. لكن من الذي صنع به هذا الصنيع !! رباهُ، غاب عني وما ظننتُ أني ألقاه، وها هو الآن قطيع الوريد، عافر الخدِ تريب الجبين.

يا للفعل اللعين، ماذا أصنع يا أبتاه إليك عمري، والعمرُ فداك، طال يا أبتاه الفراق، وإذا قُدر لي أن أراك، أراك قطيع الرأس. أنفاسٌ بريئة تتخافت في جو الخربة المظلم ويدور صراخ الآيامى وعويل اليتامى، ماذا جرى بالله عليكم انظروا لعل الطفلة نامتْ، أم روحها غابت، نعم بل روحها من الدنيا قد

فارقت أحضروا لها مغسلة لتجهزها وإذا بها بالرفض تمنعت، عجباً يا امرأه، أمورٌ طبيعية جرت، وطفلة على راس أبيها ماتت قالت لعل بالطفلة مرضاً؟ ! لا ما كان بها من مرض ! !، إذاً لماذا أضلاعها زرق، أجابت عمتها زينب من ضرب السياط، فكثيراً ما تألمت، فجهزت، وبالخربة دفنت.

الفصل الثاني عشر

الحسين والقرآن

فلا غرابة ولا عجبْ لوليد الوحي، وسبط النبي محمد ﷺ أن يكون مع القرآن فالذي كانت نشأته في بيت النبوة والوحي من الطبيعي أن يلازم القرآن، فحيث ذلك البيت الذي أغناهُ الله بالعلم والنبوة وهو بسيط بما أحاطته به جوانبه الأربع وفي ذاك قول الشاعر :

وبيتك وهو غني بما
حوته جوانبه الأربع
فزاوية منهُ فيها الحصير
إلى جنبه حجرةٌ توضع
وأخرى بها من جريد
النخيل سريرٌ قوائمه ترفع
وآنيةُ الطين وهي الكؤوس
وفي يدِ مالكها تصنعُ
وتلك رحىً مجلت
راحةً لطحنِ الشعير بها تسرعُ

هو البيت الذي غذّى الحسين بوحيه، وطهره من الرجس بإرادتهِ، فيعيش فيه الحسين صغيراً ويكبرُ صبياً وينشأ رجلاً معتمراً بذكر الله تعالى فالذي خلق وعاش ومات من أجل القرآن فإن فارقَ الدنيا بجسدهِ فلن يدع القرآن بروحه ولن

يفارقه. وحينما يريد الله النصر لأولياءه يظهره، والعزة لأوصياء نبيه يعطيها، فيصبح المستحيل كائناً، والمستحيل كلمة تمسك بها العاجزون، فمن جهة التصميم والإرادة ليس هناك شيء يسمى مستحيلاً، فإن لم يكن بالوجودِ[1] فبالأثر، حتى الذي يموت أليس يقال عنه انتهى ومستحيل يعود، فهو موجود بالأثر، وكل ما يتركه الإنسان إذا مات فهو حي بما ترك، وإن الإنسان إذا مات قالت الملائكة ماذا قدم وقالت الناس ماذا ترك، فبين ما يخلفه الإنسان وبين ما يتركه من أثر، يعادل وجوده ولا تحسب له نهاية، فيبقى العالِم بعلمه، والشجاع بشجاعته، والأبيُ بعزته والحرُ بإرادته، وصاحب الرسالة برسالته. فالرسل ماتوا وهم أحياء برسالاتهم، والأوصياء ماتوا وهم أحياء بوصايتهم، علاوةً على أنهم عند ربهم يرزقون، والشهداء ماتوا وهم أحياء بدمائهم لأن الدماء الطاهرة تحرك القلوب الصافية المملوءة بالإيمان، نحو ما استشهد الشهداء لأجله وعلاوةً على ذلك، ما حملَ الإمام المعصوم من قِبلَ ربه، فإن في الحياة قوانين مادية واقعية ظاهرةً للعيان، يوقفها الله سبحانه ويُعَطِّلها كرامةً لأولياءه وحججهِ على خلقه، فحتى تبقى الحجة لله على

---

(١) بالوجود : بمعنى إن لم يكن الشيء موجود بعينه، فإنه يرى ويحس ويكون موجود بأثره.

الناس لابد من إظهار ذلك، فنارُ النمرود جعلها الله برداً وسلاماً على إبراهيم، والنارُ علتها الإحراق فيوقف الله هذا القانون وهو علية الإحراق، ولا يتأثر جسد إبراهيم بالنار وهو قابلٌ للإشتعال، وحينما تعجزُ النساء عن الحملِ الطبيعي إلاّ بالإقتران من جنس الرجال، وتحملُ العذراء من دون مساسٍ من أي بشر، ليولد نبيٌّ لله بأمر منه، وكلمةٌ ألقاها الوحي إليها فقانون التناسل ءِيأبى إلاّ بالاقتران الطبيعي والتقارب بين الرجل والمرأة، فيوقف الله ذلك القانون عن طبيعته ومراحله الواقعية وتنجب العذراء مريم، وليظهر الله براءتها ناداها من تحتها من بعدِ ما تمنت الموت، ولينجيها الله من قومها، فاشارت إليه وسكتت هي عن الكلام فأشارت إليه، ليكلمه القوم أو هو يقومُ بالكلام، فإذا صبيٌ في المهد ينطق بأحلى الكلام وخرقٌ آخر لقانونِ اللسان، إذ لا ينطق اللسان إلاّ بعد التعلمِ والتكرار. وراح عيسى ابن مريم يتكلم بكلام البلغاء والفصحاء.

وها هو الآن قانون الموت يوقفه الله ليظهر حق الشهيد المظلوم المذبوح عطشاناً بشط الفرات فرأسٌ مقطوع كيف له بالكلام فلا غرابة ولا عجب من أمرِ الله ولذلك نرى بكل ما نقله إلينا التاريخ أن الحسين ما تكلم إلاّ بالقرآن وبذكر الله العظيم، ولماذا يا ترى سورة الكهف؟!!، إذ لا تعجبوا أيها

الناس، فإن الذي أحيا رجالاً عُدوا من الأموات، نياماً في كهفهم ثلاث مائة وتسعة أعوام، ليعلم من في قلبهِ زيغ أن الله قادرٌ مقتدرٌ علام وليرى الناس أن الحق لا يظهر إلاّ لأصحابه، وها هو زيد ابن أرقم يحدثنا إذ يقول كنت في حجرةٍ لي تطلُ نافذتها على سكةٍ للمشاة فسمعت لغطاً وضوضاء وصوتاً جهورياً يقرأ الآيات من قولهِ تعالى ﴿**أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجباً**﴾[١] فقلت يا ابن رسول الله إن رأسك لا عجب وأعجب، ولا عجبَ من أمرِ الله[٢] ﴿**إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون**﴾[٣]. ولما نصب الرأس المقدس في موضوع يسمى الصيارفة في الكوفة، وهناك لغط المارة وضوضاء المتعاملين، فأراد سيد الشهداء توجيه النفوس نحوه ليسمعوا بليغ كلامهِ

---

(١) سورة الكهف آية ٩ .

(٢) سورة يس آية ٨٢ .

(٣) الإرشاد للمفيد والخصائص الكبرى ج٢ ص١٢٥، وقال ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ج١ ص٣٦٢ إن زيد بن أرقم من المنحرفين عن الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام. فإنه كتم الشهادة للإمام أمير المؤمنين بالولاية يوم الغدير فدعا عليه بالعمى فكف بصره إلى أن مات، وفي كامل التاريخ لابن الأثير ج ص٢٤ أمر ابن زياد فطيف برأس الحسين في الكوفة ذكره في البداية والنهاية أيضاً لابن كثير ج٨ ص١٩١ وكذلك الخطط المقريزية ج٢ ص٢٨٨.

وليوعظوا ويرجعوا لأمرِ الله وطاعته، ولعلهم يعتبرون بهذه المعجزة، وليلتفتوا إلى الحق وأصحابهِ المظلومين فتنحنح الرأس الشريف تنحنحاً عالياً فاتجهت إليه الناس واعترتهم الدهشة حيث لم يسمعوا رأساً مقطوعاً يتنحنحُ قبل يوم الحسين عليه السلام، فعندها قرأ سورة الكهف إلى قوله تعالى ﴿**إنهم فتيةٌ آمنوا بربهم وزدناهم هدى**﴾[١] وصلب على شجرة[٢] فاجتمع الناس حولها ينظرون إلى النور الساطع فأخذ يقرأ ﴿**وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون**﴾[٣] وقال هلال بن معاوية : رأيت رجلاً يحمل رأس الحسين عليه السلام والرأس يخاطبه فرقت بين رأسي وبدني فرق الله بين لحمك وعظمك وجعلك آية ونكالاً للعالمين فرفع السوط وأخذ يضرب الرأس حتى سكت[٤]. وسمع سلمة بن كهيل الرأس يقرا وهو على القنا : ﴿**فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم**﴾[٥].

ويحدث ابن وكيدة أنه سمع الرأس يقرأ سورة الكهف

---

(١) سورة الكهف الآية ١٣ .

(٢) ابن شهرآشوب ج٢ ص١٨٨.

(٣) سورة الشعراء الآية ٢٢٧ .

(٤) شرح قصيدة أبي فراس ص١٤٨.

(٥) أسرار الشهادة ص٤٨٨.

فشك في أنه صوته أو غيره فترك عليه السلام القراءة والتفت إليه يخاطبه : يا ابن وكيدة أما علمت آنا معشر الأئمة أحياء عند ربهم يرزقون، فعزم على أن يسرق الرأس ويدفنه، وإذا الخطاب من الرأس الأزهر : يا ابن وكيدة ليس إلى ذلك من سبيل إن سفكهم دمي أعظم عند الله من تسييري على الرمح فذرهم فسوف يعلمون ﴿**إذ الأغلال في أعناقهم والسلاسل يسحبون**﴾[1] وقال المنهال بن عمرو : رأيت رأس الحسين بدمشق على رمح وأمامه رجل يقرأ سورة الكهف حتى إذا بلغ إلى قوله تعالى ﴿**أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا**﴾ فنطق الرأس بلسانٍ فصيح : أعجب من أصحاب الكهف قتل وحملي[2].

وما كان حفيد أبي سفيان، وحفيد هند آكلة الأكباد يكتفي بسبي آل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وصلب رأس ابن رسول الله وابن فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين، بل كرر هذا العمل الشنيع والجرم الفظيع من حيث وضع الرأس بين يديه، وضربه بقضيب من حديد مرة ومرة أخرى بمخصرةٍ من خيزران وهو يقول يومٌ بيوم بدر.

---

(١) شرح قصيدة أبي فراس ص١٢٧.

(٢) الخصائص للسيوطي ج٢ ص١٢٧.

ثم أمر بإخراج الرأس من المجلس وصلب على باب القصر ثلاثة أيام، فلما رأت هند بنت عمرو بن سهيل زوجة يزيد الرأس على باب دارها والنور الإلهي يسطع منهُ ودمهُ طري لم يجف، ويشم منه رائحة طيبة دخلت المجلس مهتوكة الحجاب وهي تقول : رأس ابن بنت رسول الله على باب دارنا؟ !! فقام يزيد وغطاها وقال لها اعولي عليه يا هند فإنه صريخة بني هاشم عجل عليه ابن زياد، وأمر يزيد بالرؤوس أن تصلب على أبواب القصر وأبواب الجامع الأموي، ففعلوا بها ذلك[١].

---

(١) راجع الخطط المقريزية ج٢ ص٢٨٩ والاتحاف بحب ا لأشراف ص٢٣، ومقتل الخوارزمي ج٢ ص٧٥، والبداية لابن كثير ج٨ ص٢٠٤، وسير أعلام النبلاء ج٣ ص٢١٦ ومقتل العوالم ص١٥١، الخطط المقريزية ج٢ ص٢٨٤، والخوارزمي أيضاً ج٢ ص٧٤.

الفصل الثالث عشر

عبر من أسرار الشهادة

الحمد لله وما شاء الله ولا قوة الا بالله وصلى الله على رسوله.

خط الموت على ولد آدم مخط القلادة على جيد الفتاة وما اولهني الى اسلافي اشتياق يعقوب الى يوسف وخير لي مصرع انا لاقيه كأني بأوصالي تقطعها عسلان الفلاة بين النواويس وكربلاء فيملأن مني أكراشا جوفا واجربتا سغبا لا محيص عن يوم خط بالقلم رضا الله رضانا اهل البيت نصبر على بلائه ويوفينا اجور الصابرين، لن تشذ عن رسول الله لحمته بل هي مجموعة له في حضيرة القدس تقر بهم عينه وينجز بهم وعده. الا من كان فينا باذلا مهجته موطنا على لقاء الله نفسه فليرحل معنا فأني راحل مصبحا ان شاء الله تعالى.

حينما قدر الله عل بني البشر الموت وجعله مصيرهم المحتوم، صار واجبا عليهم التحمل والمواجهه، وانما عبر الامام الحسين عليه السلام بالخط فذلك لما هو مكتوب مخطوط في اللوح المحفوظ ان ولد آدم لا سبيل لهم او الى عودتهم الى عالم الآخرة والحياة ألأبدية، الا الموت فهو مكتوب عليهم مخطوط بأسمائهم واحدا بعد الآخر، أنثى وذكر، صغارا وكباراً، مكتوباً عليهم مخطوطاً بأسمائهم ثابت لأجسادهم كما مثل صلوات الله تعالى عليه.

في عبارته (**مخط القلادة**)، بمعنى ان الفتاة التي تلازم لبس القلادة من دون نزعها تترك اثراً على جيدها، فلو نزعت القلادة تراها تركت خطاً على الجيد.

ومثاله لبس الخاتم فأنه يترك اثراً في الاصبع يلاحظ بعد نزع الخاتم.

فأذا كان هذا الموت الذي هو ثابت لا بد منه فكذاك نحن سنواجه ذلك الموت لا محال له.

ويبقى علينا كيفية مواجهته فأنا مشتاق له لأنه هو الموصل الوحيد الى الأحبة من بعد غياب طويل طال بيني وبينهم كما طال الفراق بين يعقوب ويوسف وذلك معنى قوله عليه السلام وما اشوقني الى اسلافي اشتياق يعقوب الى يوسف، ولكن الذي كان بين يعقوب ويوسف فراق قد حصل من بعده لقاء، وهكذا الأمام الحسين في شوق لمن فارقوه وابعدوا عنه احبته جده وأبيه وامه واخيه، وكل من كان له في قلب الحسين حب ومودّة. فالمعرفة والاحاطة بالغيب الذي يوصل الى الحقائق المؤكدة، وخير دليل أخبار الامام الحسين عليه السلام بشهادته نقلا عن الاما م الصادق بسند محمد بن جعفر الرزّاز قال حدثني محمد بن الحسين بن ابي الخطاب عن محمد بن يحيى الجثعمي عن طلحة بن زيد عن ابي عبد الله عليه السلام عن ابيه عن جده عن

الحسين بن علي عليه السلام قال : والذي نفس حسين بيده لا ينتهي بني أمية ملكهم حتى يقتلوني وهم قاتلي فلو قتلوني لم يصلوا جميعاً أبدا ولم يأخذ عطاء في سبيل الله جميعاً أبداً ان اول قتيل هذه الامة انا واهل بيتي والذي نفس حسين بيده لا تقوم الساعة وعلى الارض هاشمي يطرق. ومعنى إخباره عليه السلام هذا، انه قتل الامام الحسين سيكون سببا كبيراً قويا لانهيار ملك بني امية حيث ان وجودهم وتسلطهم على الاسلام والمسلمين من اعظم الإبتلاءات التي ابتليت بها الامة الاسلامية وابتلى بها النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقد رأى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ان قردتاً تتقافز على منبره ومن بعد هذه الرؤيا لم يرى النبي مبتسما ابداً، وقد سئل جبرائيل عن هذه الرؤيا فقال له انهم بني امية إذ يخلفوك على منبرك يتناقلون واحداً بعد الاخر وذلك كان تأويل الرؤيا التي رآها النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو تطبيق قوله تعالى **﴿وإذ قلنا لك ان ربك احاط بالناس وما جعلنا الرؤيا التي اريناك الا فتنةً للناس والشجرة الملعونة في القرآن ونخوفهم فما يزيدهم الا طغياناً كبيراً﴾**[1].

وإليك عزيزي القارئ الروايات بأسانيدها المختلفة في بيان

---

(١) سورة الإسراء : الآية ٦٠ .

ان الشجرة الملعونة في القرآن هي شجرةبني امية نسبةً الى التجاذر والتناسل فهم الواحد بعد الاخر في كثرتهم وتناسلهم وتفرعاتهم اصول وفروعاً كالشجرة التي يتعرق جذرها فتعطي جذوراً في اصلها وفروعاً في أطرافها فهكذا كان بنوا امية، وقد اكدت ذلك الروايات التالية : أخرج ابن جرير في الدر المنثور عن سهل بن سعد قال : رأى رسول اللهﷺ بني اميه على منبره فساؤه ذلك فما استجمع ضاحكاً حتى مات فأنزل الله : ﴿**وما جعلنا الرؤيا التي أريناك الا فتنةً للناس**﴾. واخرج ابن حاتم عن ابن عمر ان النبي قال : رأيت ولد الحكم بن ابي العاص على منابر كأنهم القردة وانزل الله في ذلك : وما جعلنا الرؤيا التي اريناك. . . وأخرج ابن مر دويه عن الحسين بن علي، أن رسول الله اصبح وهو مهموم فقيل ما لك يا رسول الله؟ فقال : اني رأيت في المنام كأن بني أمية يتعاورون منبري هذا فقيل يارسول الله لا تهتم فأنها دنيا تنالهم فأنزل الله وما جعلنا الرؤيا التي اريناك الا فتنتاً للناس. وفي الدر المنثور أخرج ابن مردويه عن عائشة انها قالت لمروان ابن الحكم سمعت رسول الله يقول لأبيك وجدك : انكم الشجرة الملعونة في القرآن. وكان يعلم الامام الحسين ان هؤلاء هم بنوا أمية الذين لا ينتهي ملكهم الا بقتل سيد الشهداء الامام الحسين واهل بيته

الاطهار، وليست الغاية انهاء ملك بني امية فحسب وانما لما تسببت به بنوا امية من تحريف لدين الله واضاعة لحقوق عباد الله في الارض. و ما كانوا لينتهون عن هذا الا بقتل الامام الحسين عليه السلام. فلذلك كان استشهاد الامام الحسين مزيل لكل العقبات التي ارادت هدم دين الاسلام وإرجاع الناس الى زمن الجاهلية الاولى . هذا هو سر الشهادة الحقيقي الذي عرف طريقه الأمام الحسين عليه السلام، الاختيار الصارم، من بعد مجريات الأمور بما فيها من مآسٍ وصعاب أقتطعها صلوات الله تعالى عليه بصبره الفذ وقوة عزيمته، وإلا كيف ما كان علم الإنسان ودرايته فتراه عند الإحاطة بما سيجري عليه يتوقف أو يستعد بمقدار يمكن من التغلب على خصمه ولكن فوق الحسابات المادية وأكبر من التصورات الذهنية معرفة المبدأ وتطبيقاته في الحياة.

والا فهي أفكار و آراء تتبعها كلمات، سهل يسير على المرء أن يرددها ويتناقلها ولكن العظمة تكمن وتكتمل في التطبيق وفي الوقت الذي كان فيه الأمام الحسين يحمل أعظم مبدأ عرفته البشرية إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق هذا المبدأ الذي جاء به النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم، بدأ بالأنهيار وجرفه التيار تيار الظلم والجهل الكامل الذي خيم على عقول الناس وأعمى قلوبهم .

وإنما لاتعمى العيون ولكن تعمى القلوب التي في الصدور. ﴿قال رَبِّ لما حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك اتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى﴾ (١) فأختار الامام الحسين عليه السلام المواجهة لدفع الظلم وإزاحت العمى عن القلوب بالمصرع الذي أختاره الله إليه وذلك معنى قوله وخير لي مصرع أنا لاقيه كأني بأوصالي تقطعها عسلان الفلاة بين النواويس و كربلاء.

وهذا ما رآه الأمام الحسين يوم التاسع من المحرم الحرام حيث كان جالس فخفق برأسه خفقه اي نام نومه خفيفه رأى عندها ان كلاباً تنهشه اشدها عليه كلباً أبقع وفسر ذلك بشمر لعنه الله. وكما رأى الامام الحسين عليه السلام كان وصفه لتلك الكلاب التي رآها في منامه أنها شرسه تنهشه الى حد أنها تملأ اكراشاً جوفا اي بطوناً خالية وأجربتاً سغبا اي معدة الحيوان المشتر الذي يملء جوفه للشبع واكياساً في جوفه يملؤها بشراهته وشراسته.

وعلم الامام الحسين عليه السلام بالقدر المحتوم الذي لا مهرب منه. عبر بعبارته هذه لا محيص عن يوم خط بالقلم، رضا الله رضانا اهل البيت نصبر على بلائه ويوفينا اجور الصابرين مبيناً صلوات الله تعالى عليه ان كل شيء عند الله بقدر وقد ثبتت

---

(١) سورة طه الآية ١٢٥ ـ ١٢٦ .

لنا شهادة الامام الحسين عليه السلام ان الحقوق التي لله لن تنال الا بالدم الزكي الطاهر، ودماء الصالحين من اتباع اهل البيت عليهم السلام . فلماذا التهاون عن امر الله تعالى. وها هو الامام الحسين قد انطلق وهو مطمئن من اقتران رضا الله بشهادته .

ومن اقتران رضا الله برضاهم لأنهم السبيل الموصل الى الله ولأنهم صبروا بعزم وإرادة على قضاء الله وقدره حتى وفاهم اجور الصابرين، وجزاءً من الله لصبرهم وكرامةً لنبيه إذ يجمع له اهل بيته. وذاك معنى قوله عليه السلام لن تشذ عن رسول الله لحمته بل هي مجموعة له في حضيرة القدس تقر بهم عينه وينجز لهم وعده.

فأن اجمع اهل الكفر وامة الضلال والشرك والنفاق على تضييع وتشريد اهل بيت النبي وعترته، وحتى لو انهم مزقوهم ونثروا لحومهم، فيوم القيامة يجمعهم الله للنبي في حضيرة القدس التي هي حضرة عرش الله تبارك وتعالى، فأي مكانةً هذه اعطاهم الله.

فلشأنهم الكبير يجمعهم الله تحت ظل عرشه يوم لا ظل الا ظله، ثم يقول عليه السلام الا من كان فينا باذلاً مهجته، والمهجة هنا معناها النفس بكل ما فيها من عزم وطاقه وا لنفس هي الروح والجسد اي ان نفسي بما فيها من روح وجسد ومشاعر

واحاسيس مبذوله لنصرة الله ونبيه وابن نبيه، ومعنى قوله فينا اي ان هذا الامر هو امر جميع اهل البيت عليهم السلام لا امر الامام الحسين وحده ولذلك قال فينا، وقوله موطناً على لقاء الله نفسه : اي ان الباذل لنفسه قد اخذ الاستعداد الكامل والاستقرار النفسي الشامل للموت في سبيل الله فحيث ان المواطن ساكن في مستقر من موطنه فهو كالمقيم الذي لا يشعر بالقلق بل هو بحالة إطمئنان واستقرار في استيطانه، فليرحل معنا الى مقر أمانه ودار آخرته.

ومن اخذ على نفسه هذا الحد من الاستقرار في لقاء الله فسيكون عند بذله لنفسه وروحه على كامل الاستعداد.

وقد حدد الامام الحسين الوقت الذي سيرحل فيه، وهو الصبح، ومعناه الابكار والمسارعة في تنفيذ أمر الله والاستعداد الكامل للقاء الله سبحانه وتعالى.

الفصل الرابع عشر

نهاية المطاف

وتَمرُ المصائب على رأس الإمام الغريب أبي عبدالله الحسين عليه السلام، فحيث الفاجعةُ الكبرى والتفريق بين الجسد والرأس، والحمل على الرمح من بلدٍ إلى بلدٍ وشرب الخمور حول الرأس، إلى صلبهِ على الأبواب وفي الطرقات، وعلى الأشجار ونظر الناس إليه وهمُ بين شامتٍ ومتفجعٍ بمصاب، إلى ضربٍ بالسوط عندما يقرأ القرآن، إلى النظر إلى أطفاله وأخواته وبناته بنات الوحي الطاهرات، إلى الضرب بالقضيب الحديدي، إلى الضرب بالخيزران إلى إنشاد الشعر عليه شماتةً وفرحاً بالنصر، إلى حمل الرأس إلى الخربة وموت، رقية تفجعاً وألماً وحسرة، وينتهي المطاف برأس أبي عبدالله عليه السلام بالعودةِ إلى كربلاء، ويلحقُ بالجسد الطاهر وكذلك رؤوس بني هاشم، وهو الحق والصواب إذ يسمى يوم الأربعين يوم مرد الرؤوس، وتكاثرت الأقوال على أن الرأس دفن هنا وهناك ولكن كلها رواياتٌ ضعاف وغير مسندة ورواتها غير ثقات، ونحن نثبت أيضاً الصحيح منها والقوي والثقة على أن الرؤوس أعيدت إلى كربلاء، وأن ما نراه اليوم من كثرة مقامات رأس الحسين عليه السلام فليست هي قبور ولو قلنا أنها قبور فالرأس واحد والقبور أي المقامات كثيرة ! ففي أي مكانٍ منها يكون قد دفن، فنرى أن هناك في الشام جنب الجامع الأموي مقاماً، وفي حلب مقام

وفي فلسطين في عسقلان مقام وفي مصر مقام وفي العراق بين الكوفة والنجف مقام يسمى الحنانة.

فكل هذه المقامات بقع تباركت بوضع رأس الحسين فيها ومواضع صارت جوامع لذكر الحسين الذي حَلَّ بها، ولذلك قول أبي بكر الآلوسي عن موضع رأس الحسين فقال :

لا تطلبوا رأس الحسين
بشرقٍ أرضٍ أو غربِ
ودعوا الجميع وعرجوا
نحوي فمشهده بقلبي[1]

وأما الأقوال التي تكاثرت حول موضع رأس الإمام الحسين عليه السلام فمنها :

ذكر الإمام أبو العلاء الحافظ، بإسناده عن مشايخه : أن يزيد بن معاوية حين قدم عليه برأس الحسين وعياله، بعث إلى المدينة فأقدم عليه عدَّة من موالي بني هاشم، وضم إليهم عدّة من موالي آل أبي سفيان، ثُمَّ بعث بثقل الحسين ومن بقى من أهله معهم، وجهّزهم بكل شيء ولم يدع لهم حاجة بالمدينة إلاّ أمر لهم بها، وبعث رأس الحسين إلى عمرو بن سعيد بن

(١) راجع البابليات ج٢ ص٢٨، تذكرة الخواص لسبط بن الجوزي ص١٥٩ طبع الحجر وأنشد بعض أشياخنا : لا تطلبوا رأس الحسين...الخ.

العاص «وهو إذ ذاك عامله على المدينة»، فقال عمرو : وددتُ أنه لم يبعث به إلي، ثم أمرَ عمرو برأس الحسين عليه السلام، فكفن ودفن في «البقيع» عند قبر أمه فاطمة عليها السلام .

وقال غيره : إن سليمان بن عبدالملك بن مروان رأى النبي صلى الله عليه وآله وسلم في المنام، كأنه يبرّه ويلطفه، فدعا الحسن البصري، وقصَّ عليه، وسأله عن تأويله، فقال الحسن : لعلك اصطنعت إلى أهله معروفاً.

فقال سليمان : إني وجدتُ رأس الحسين في خزانة يزيد بن معاوية فكسوته خمسة قطع من الديباج، وصليت عليه في جماعة من أصحابي، وقبرته، فقال الحسن : إن النبي رضي عنك بسبب ذلك، فأحسن إلى الحسن البصري، وأمر له بجوائز.

وقال غيرهما : إن رأس الحسين عليه السلام صُلبَ بدمشق ثلاثة أيام، ومكث في خزائن بني أمية حتى ولي سليمان بن عبدالملك، فطلبه فجيء به ـ وهو عظم أبيض قد قحل[1] ـ

---

(١) قد قحل : أي ذهب اللحم الذي كان عليه وهذا غير ممكن لأن المشهور والمعروف عن رأس الإمام أنهُ لم يُبلَ والذي كان منه النور يسطع، والمسك والعنبر منهُ يفوح، كيف يبلى ويتآكل، وهذهِ الرواية غير صحيحة من جهة الدلالة، ولا من جهة السند، إنما ذكرتها لأبين الأقوال التي تناولت ذكر

فجعله في سفط وطيبه، وجعل عليه ثوباً ودفنه في مقابر المسلمين بعدما صلى عليه[١] .

فلما ولي عمر بن عبدالعزيز بعث إلى المكان الذي فيه الرأس الشريف يطلبه منه فأُخبر بخبره، فسأل عن الموضع الذي دُفن فيه فنبشه وأخذه، والله أعلم بما صنع به، والظاهر أنه بعثه إلى كربلاء فدفن مع جسده. وهو الحق والصواب. حيث إن الرأس الشريف وبقية الرؤوس عادت إلى كربلاء بأمرٍ من يزيد بن معاوية، لما طلبها الإمام علي بن الحسين زين العابدين، في الوقت الذي عادت ورجعت السبايا إلى المدينة عادت ورجعت الرؤوس أيضاً، وإن يزيد بن معاوية ماسلم الرؤوس إلى الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام ولا صنع هذا الصنيع إلاّ بعد ما خاف الفتنة، وانقلاب الأمر عليه، وانهيار الحكم الأموي من يدهِ، فعندها... عرض على الإمام علي بن الحسين عليه السلام أن يطلب كل ما يريده، بل وعَرضَ عليه أي مبلغ من المال يطلبه، ورفض زين العابدين، وهيهات أن يقبل، ولا يمكن أن يساوم

الرأس الشريف، وهذا من جانب ومن جانبٍ آخر إذا كان جسد المؤمن لا يبلى في التراب فكيف بجسد الإمام المعصوم؟ !، أم كيف برأسه الذي هو معرض للهواء، فتأمل !

(١) مقتل الخوارزمي ج٢ ص٨٣ و٨٤ طبعة إيران قم عام ١٤١٨هـ.

على دمِ أبيه أبي الأحرار الإمام الحسين. وقال ليزيد : اعلم يا يزيد أن دم أبي الحسين لا يضاهيه ثمن، وإن كنت صادقاً فيما تقول فأعطني الرؤوس جميعاً، فسلمها إلى الإمام علي بن الحسين عليه السلام وعادت إلى كربلاء وألحقت بالأجساد، وذلك في عشرين من صفر سنة احدى وستين للهجرة. وقد وردت بعض النصوص التي تتناول عودة الرأس الشريف وبقية الرؤوس إلى كربلاء وألحقت بالأبدان في أربعين الإمام الحسين، المصادف عشرين من صفر سنة احدى وستين للهجرة، فمنها : ما ورد في نفس المهموم، الرأس المقدس عاد إلى كربلاء بيدِ الإمام علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام الملقب بزين العابدين[١]. وفي رياض الأحزان[٢] : عادت الرؤوس جميعها إلى كربلاء. وفي روضة الواعظين[٣]، ومثير الأحزان[٤]، واللهوف[٥]، واعلامُ الورى[٦]، ومقتل العوالم[٧]، والمناقب[٨] : إن المعول عليه عند الإمامية أن الرأس الشريف

---

(١) نفس المهموم ص٢٥٣ .
(٢) رياض الأحزان ص١٢٤١٥٥.
(٣) روضة الواعظين ص١٦٥.
(٤) مثير الأحزان : ص٥٨.
(٥) اللهوف لابن طاوس : ص١١٢.
(٦) أعلام الورى للطبرسي ص : ١٥١.
(٧) مقتل العوالم ص : ١٥٤.
(٨) المناقب لابن شهرآشوب ص : ٢٠٠ ج٢١٢٤.

وبقية الرؤوس عادت إلى كربلاء. وكذلك ذكر المرتضى[١] أن الرأس أعيد إلى بدنه في كربلاء. وأما في كتاب عجائب المخلوقات[٢] فقد جاء : في العشرين من صفر رُدَّ رأس الحسين عليه السلام إلى جثته. وفي كتاب شرح همزية أبو صيرى[٣] جاء ذكر الرأس أيضاً بعبارة : أعيد الرأس إلى جثته بعد أربعين يوماً من قتله[٤]. وأما في الكواكب الدرية[٥] فقد نقل اتفاق الإمامية على أن رأس الإمام الحسين عليه السلام أعيد إلى كربلاء. وأيضاً ذكر سبط بن الجوزي : الأشهر أنه رُدَّ إلى كربلاء فدفن مع الجسد[٦]، وكذلك قال أبو الريحان البيروني : في العشرين من صفر رُدَّ رأس الحسين إلى جثته حتى دُفن مع جثته[٧]، ومما تقدم عزيزي القارىء، يتضح أن الرأس المقدّس للإمام الحسين رُدَّ إلى كربلاء ودُفن مع الجسد الطاهر، ولم يبقَ بعيداً عن الجسد إلاّ أربعين

---

(١) كتاب الرسائل للمرتضى.

(٢) عجائب المخلوقات للقزويني : ص٦٧.

(٣) الكتاب لابن حجر العسقلاني وما جاء فيه يوافق ما جاء في كتاب الاتحاف بحب الأشراف.

(٤) الاتحاف بحب الأشراف للشبراوي : س١٢١٢٥.

(٥) ج١ ءِص٥٧١٢٥.

(٦) تذكرة الخواص : ١٥٠.

(٧) الآثار الباقية : ج١ ءِ ص٣٣١.

يوم فقط، وخلال هذه الأربعين فقد لاقى الرأس الشريف الكثير من المصائب وكذلك بنات رسول الله ﷺ لاقَيْنَ مثل ما لاقى الرأس الشريف، وإن الذي نزل على الجسد بعد الفاجعة، لا يقل مصيبةً وألماً ممّا نزل على الرأس، فإن الرأس رفع على الرمح وطيف به في البلاد. ولم يدفن، والجسد بقي ثلاثة أيامٍ بلياليها ولم يدفن، والرأس تعرض للضرب بالسوط مرة ومرة بقضيب من حديد وأخرى بعودٍ من خيزران، وكذلك الجسد تعرض بعد القتل إلى السحقِ والرضّ بحوافر الخيل، الرأسُ تعرض إلى حرارة الشمس والتراب، والجسد كذلك تعرض للشمس والتراب، الرأس الشريف نظرت إليه بنات رسول الله وتألمت والجسد كذلك نظرتهُ بنات رسول الله وتألمت وبكت حتى أن زينب وسكينة ما عرفتا الجسد لِمَنْ مِنْ شدّةِ الضرب والطعن، وما جرى على السبط الشهيد لم يجرِ على أحد، ومصائب لو أنها على الجبال نزلت لساخت وذابت ومن صبرك يا حسين ملائكةُ السماء تعجبت :

أروحك أم روحُ النبوةِ تصعدُ
من الأرض للفردوس والحورُ سُجَّدُ
ورأسك أم رأس النبي على
القناة بآيةِ أهل الكهف راح يرددُ

وأمكَ أم أمُّ الكتـــاب تنهـــدت
فـذاب نشـيـجـاً قلبـهـا المتنهـدُ
وصدرك أم مستودعُ العلم والحجى
لتحطيمهِ جيشاً من الجهل يعمدُ
وشاطرت الأرضُ السماء بشجوها
فـواحـدةً تبكي وأخـرى تعـددُ
وقـد عـقـد الوحيُ العـزاء ببـيـتـهِ
حـداداً عليك والمعـزّى مـحـمـدُ
فأيُّ شهيدٍ أصلت الشمس جسمهُ
ومـشـهـدها من ذكـره مـتـولدُ
وأي قـتـيلٍ داست الخـيل صـدرهُ
وفـرسـانهـا من ذكـرهِ تتـجـمـدُ
الم تَكُ تدري أن روح مـحـمـدٍ
كـقـرآنهِ في سـبطه مـتـجـسـدُ
فلو علمت تلك الخـيـول كـأهلهـا
بأن الذي تحت السنابك أحـمـدُ
لثـارت على فـرسـانهـا وتمرّدتْ
غـضـاباً كـمـا ثاروا بهـا وتمرَّدوا

الفصل الخامس عشر

تحقق النصر

ولحظاتٌ من النصر تغمرُ صاحبها وكأنها دهرٌ بالظفر قد حلا، وخصوصاً عندما يكون الحق إلى جانبها[١] فيغدوا المحب فرحاً مسروراً، والمبغض حزيناً كئيباً، وشاء الله سبحانه أن يعطي الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام الفوز في الدنيا والآخرة والنصر على أعدائه دائماً وأبداً، وقد تعددت مواقف الانتقام وكثرة في الدنيا فمنها يتحقق بتقديرٍ من الله سبحانه وتعالى، وذاك هو جزءٌ من العقاب الرباني الذي أعده الله لقتلة الحسين وأهل بيته، فحيث ينقل لنا التاريخ صوراً رائعة عن المختار بن عبيدالله الثقفي[٢]، وهو رجل مارس فنون

---

(١) أي إلى جانب اللحظات عندما تظهر وتبان.

(٢) وهو غلامُ ثقيف الذي ذكره الإمام الحسين لعمر بن سعد إذ قال له وسلط عليك غلام ثقيف وكان المختار الثقفي محبوساً في سجن ابن زياد من أيام قتل مسلم بن عقيل، وبعد قتل ابن عفيف الأزدي أُطلق سراح المختار بشفاعة عبدالله بن عمر بن الخطاب فإنه كان زوج أخته، حيث أن للمختار أختين تزوج إحداهن عبدالله بن عمر وتزوج الثانية عمر بن سعد، ولذلك حكمة من الله، إذ بمساعدة عبدالله بن عمر، وعمر ابن سعد أُطلق سراح المختار الثقفي، بأمرٍ من يزيد بن معاوية، وحيث أن المختار لاقى الكثير من ابن زياد فضربه مرة بالسوط على عينه فذهبت ومرة أخرى رماهُ بالقضيب الحديد فكسر جبهته، ومنها عزم المختار على قتل ابن زياد وكل من شارك في قتل الحسين بن علي بن أبي طالب. وإنما عزم المختار على قتل ابن زياد لا لأنه ضربهُ وأهانه فقط بل لقتلِ ريحانةِ رسول الله صلى الله عليه وآله.

الحرب وأساليب القتال وتعلم جزءاً كبيراً منها من ذوي الخبرة والمقال، حتى صار من أشهر الفرسان، وغُسل قلبه بماء الولاية الصافي من الأوهام، ومكنه الله سبحانه وتعالى من أخذ الثأر لأبي عبدالله الحسين عليه السلام ومن قاتليه، وسالبيه والسابين عياله وأطفاله، أشد الانتقام وقد نبأ بذلك الإمام الحسين عمر ابن سعد قبل بدء القتال إذ خاطبه : يا ابن سعد لا أكلت من بُر العراق ولا شربت، وسلط الله عليك غلام ثقيف يذبحك على فراشك، وكأني برأسك على قصبتان في أزقة الكوفة يتخذه الأطفال دخلاً بينهم. وهكذا كما قال الإمام الحسين عليه السلام ، وصار للمختار شأن استطاع من خلاله أن يأخذ بثأر الحسين بن علي . عليه السلام ثم أن المختار أرسل إلى وجوه أصحابه فجمعهم عنده وقال : إنه والله، إني لا يسوغ لي طعام ولا أحب أن أروى من الماء وقتلة الحسين بن علي أحياء يعبثون في الأرض، وقد استوثق لي الأمر، وأطاعني الناس بسببهم ولست والله بالناصر لآل محمد إن لم أطلب بدمائهم، وأقتل من قتلهم، وأذلُّ من

وإذا أردت المزيد فراجع البحار ج١٠ ص٢٨٤ عن أخذ الثار لابن نما ـ الأخبار الطوال ص٢٩٥ ـ تاريخ الطبري ج٧ ص١٤٦ ـ رياض الأحزان ص٥٢ ـ الاعلاق النفيسة لابن رسته ص٢٢٤. مقتل الخوارزمي ج٢ ص٢٥٠، ص٢٦٩.

جهل حقهم، وأنتهك حرمتهم، فسمّوهم لي ؛ لعليّ أن أطهر البلاد منهم، فجعل أصحابه يسمونهم رجلاً رجلاً، ويذكرون ما فعلوا، وجعل يؤتى بهم فمنهم من يقطع يديه، ومنهم من يقطع رجليه، ومنهم من يقطع رجله ويده، ومنهم من يسمل عينيه أو يقلعهما، ومنهم من يجدع أنفه، ومنهم من يقطع لسانه وشفتيه، ومنهم من يضربه بالسياط حتى يموت، ومنهم من يقطعه بالسيوف إرباً إرباً، ومنهم من يضرب عنقه صبراً، ومنهم من يحرقهُ بالنار، ومنهم من يسلخ جلده، فلم يزل كذلك حتى قتل منهم مقتلةً عظيمةً .

وروى أبو مخنف : أنَّ سعد الحنفي دلّه على زياد بن مالك ؛ وعمران ابن خالد ؛ وعبدالرحمن البجلي ؛ وعبدالله بن قيس الخولاني ؛ وكانوا من المحلِّين، ومن جملة قتلة الحسين، فبعث عبدالله بن كامل فجاء بهم إليه، فقال لهم المختار : يا قتلة سيد شباب أهل الجنَّة ! ألا ترون الله قد أقاد منكم؟ فقد أصاركم الورس[1]، إلى يوم نحس، وكانوا قد نهبوا الورس الذي مع الحسين، ثم أمر بهم أن يخرجوا إلى السوق وتضرب أعناقهم، وأتى قوم من أعوان المختار إلى دار خولي بن يزيد

(١) الورس : هو الثوب المصبوغ بصبغة تسمى صبغة الوَرَّسَ، وقوله أصابكم الورس إلى يومٍ نحس أي إلى يومٍ قد غطاه النحس وملئتهُ النحوسية.

الأصبحي فاقتحموها ودخلوا وكان خولي هو الذي احتزَّ رأس الحسين عليه السلام، وكانت له امرأة يقال لها : العيوف بنت مالك الحضرمي، وهي التي خاصمته إذ دخل برأس الحسين عليها، فلما نظرت إلى أصحاب المختار قد دخلوا دارها قالت : ما شأنكم وما تريدون؟ فقال أبو عمرة صاحب شرطة المختار : لا بأس عليك نريد زوجك أين هو؟ قالت : لا أدري ! وأشارت بيدها إلى المخرج فدخلوا عليه فإذا هو جالس وعلى رأسه قوصرة[1]، فأخذوه وأتوا به إلى المختار فقالوا له : أيها الأمير ! هذا خولي الذي احتزَّ رأس الحسين.

فأمر به المختار فذبح بين يديه، ثم أمر بجسده فأحرق بالنار، ثم أُتي برجلٍ يقال له : بجدل بن سليم الكلبي وأدخل على المختار فقيل له : أيها الأمير ! هذا بجدل الذي أخذ خاتم الحسين وقطع اصبعه، فقال المختار : اقطعوا يديه ورجليه وذروه يتشحط بدمه ففعل به ذلك، وجيء ذلك اليوم بستة نفر وهم الذين نهبوا أموال الحسين، فأمر بهم فسلخت جلودهم وهم أحياء.

وذكر أبو مخنف : أنَّ المختار بعث إلى الحكيم بن الطفيل الطائي وهو الذي أصاب سلب العباس بن علي ورمى الحسين

(١) قوصرة : هي وعاء من الخوص يُجعل فيه التمر ونحوه.

بسهم فتعلَّق بسربال‌ه، فكان يقول : إنَّ السهم تعلق بسربال‌ه وما ضرَّه، فقال له المختار : لنرمينك بنبال تتعلق بثوبك، فانظر هل يضرُّك ما تعلَّق؟ فرموه بنبال حتى سقط ميتاً.

الفصل السادس عشر

مقتل عمر بن سعد بن أبي وقاص

وذكر السيد أبو طالب، ومحمد بن إسحاق، وأحمد بن أعثم الكوفي، وكلّ واحد منهم ذكر زيادة على صاحبه، فدخل حديث بعضهم على بعض، قالوا : إنَّ المختار كان قد أمن عمر بن سعد بشفاعة عبدالله بن جعدة بن هبيرة المخزومي، لأنه كان أكرم خلق الله على المختار، لصهره وقرابته من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام .

قال محمد بن إسحاق : كان عمر ختن[1] المختار على ابنته، وقال الباقون : كان ختنه على أخته، فكتب محمد بن الحنفية للمختار : إنَّك ذكرت أنك قتلت قتلتنا، وطلبت بثأرنا، وقمت بأمرنا كيف ذاك؟ وقاتل الحسين عندك يغدو ويروح وهو عمر بن سعد؟

المختار حين قرأ الكتاب : صدق والله، ثمَّ إنَّ المختار تحدَّث فقال : لأقطعنَّ والله، غداً رجلاً عظيم القدمين، غائر العينين، مشرف الحاجبين، من قتلة الحسين، يسرُّ بقتله المؤمنون والملائكة المقرَّبون، وكان الهيثم بن الأسود عنده، فلما سمع هذا الكلام، علم أنه أراد عمر ابن سعد فخرج وبعث بابنه إليه وقال له : قل له خذ حذرك فإنَّ المختار اليوم قال : كذا وكذا، وهو والله، لا يريد غيرك.

---

(١) ختن : أي صهر.

فقال له عمر : جزى الله أباك خيراً، كيف يريدني بهذا وقد أعطاني من العهود ما أعطاني؟ فلم يبرح من منزله، فدخل حفص بن عمر بن سعد على المختار فأجلسه إلى جنبه ودعا أبا عمرة فأسرَّ إليه : أن سر إلى عمر بن سعد وقل له : أجب الأمير ! فإن أتى معك فجيء به، وإن قال : يا جارية ! هاتي ردائي، ويا غلام ! هات طيلساني، فاعلم أنه يدعو لك بالسيف، فاقتله وأتني برأسه، فلم يشعر عمر بن سعد إلاّ وأبو عمرة رئيس شرطة المختار قد وافاه في أعوانه، فبقي متحيراً، ثم قال : ما شأنكم؟ فقالوا : أجب الأمير ! قال : إن الأمير قد علم بمكاني وقد أعطاني الأمان، وهذا أمانه عندي قد أخذه منه لي ابن جعدة، وقد كتبه الأمير لي. فأُتي به وفيه :

بسمِ الله الرَّحمنِ الرَّحيم هذا أمان المختار بن أبي عبيد الثقفي لعمر بن سعد بن أبي وقاص، إنك آمن بأمان الله على نفسك وأهلك ومالك وولدك وأهل بيتك لا تؤاخذ بحدث كان منك قديماً، ما سمعت وأطعت ولزمت منزلك، إلاّ أن تحدث حدثاً جديداً، فمن لقي عمر بن سعد من شرطة الله وشيعة آل محمد فلا يعرض له إلاّ بسبيل خير، وشهد السائب بن مالك الأشتر ؛ وأحمد بن شميط البجلي، وعبدالله بن كامل الهمداني، وعبدالله ابن شداد اليحصبي، ويزيد بن أنس

الأسدي، وفلان ؛ وفلان ؛ وفلان ؛ كلهم شهدوا بالعهد والميثاق والأمان لعمر ابن سعد وولده إلاّ أن يحدث حدثاً جديداً وكفى بالله شهيداً.

فقال له أبو عمرة : صدقت والله، يا أبا حفص ! قد كنا حضوراً عند الأمير يوم كتب لك الأمان، غير أنه يقول إلاّ أن يحدث حدثاً، ولعمري، لقد دخلت المخرج مراراً، وأحدثت أحداثاً كثيرة ؛ وليس مثل المختار من يغدر، ولكن عنى هذه الأحداث وليس ينبغي أن يعفو عنك بعد قتلك ابن رسول الله ﷺ، فأجبه لعلّه يدعوك لغير هذا.

قال : فإني أفعل، يا غلام ! هات طيلساني واعجل، فقال له أبو عمرة : يا عدو الله ! ألمثلي يقال هذا؟ واستلّ سيفه فضربه ضربةً على رأسه فسقط على قفاه فقال لأعوانه : خذوا رأس عدو الله، فأخذوا رأسه فجاء به حتى وضعه بين يدي المختار، وابنه حفص واقف بين يدي المختار، وهو ابن أخته في رواية الجماعة أو سبطه في رواية محمد بن إسحاق، فقال المختار : أتعرف هذا الرأس يا حفص؟ قال : نعم، هذا رأس أبي ولا خير لي في العيش بعده.

وفي رواية عبدالكريم بن حمدان : أنَّ أبا عمرة لما قتل عمر أسر ابنه حفصاً، وجاء به إلى المختار مع الرأس فقال : الحقوا

حفصاً بأبيه، فقال : أيها الأمير ! ما شهدت كربلاء؟ قال : لا، ولكنك تفتخر بأنَّ أباك قتل الحسين، فوالله، لا تعيش بعده، فضربت عنقه صبراً، ثمَّ وضع الرأسين بين يديه وقال : هذا بالحسين وهذا بعلي[1]، ولا سواء وربّ الكعبة، ثم صلب جسديهما منكسين، وصبَّ عليهما النفط فأحرقا، ووجّه بالرأسين إلى المدينة، ومعهما ثلاثون ألف دينار، وكتب إلى محمد بن الحنفية :

بسم الله الرَّحمنِ الرَّحيم ءِ للمهدي محمد بن علي من المختار بن أبي عبيد الثقفي، سلام عليك، أما بعد : فإن الله تبارك وتعالى جعلني نعمة لأوليائكم ونقمة على قاتليكم وأعدائكم، فهم من فضل الله العزيز الحكيم بين قتيل وأسير وشريد وطريد، فنحمد الله على ذلك أيها المهدي حمداً يستوجب منه المزيد في العاجلة، والمغفرة والرحمة في الآجلة، وقد وجهت إليك برأسي عمر بن سعد وحفص بن عمر وقد قتلت ممن شرك في دم الحسين وأهل بيته من قدرت عليه ولن يعجز الله من بقي منهم، ولست ألتذّ بالمنام، ولا يسوغ لي الطعام، ولا يطيب لي الشراب ولا يبقى أحدٌ ممن شرك في دماء أهل بيتك، وأنا أرجو أن يقتل الله عبيدالله بن زياد وأصحابه

(١) بعلي : أي بعلي الأكبر بن الحسين بن علي بن أبي طالب.

المحلِّين على يدي، وقد وجهت إليك بثلاثين ألف دينار، لتفرقها على من أحببت من أهل بيتك، واكتب لي برأيك فيما أحببت حتى أتبعه، والسلام.

ثم دفع الكتاب والرأسين والمال إلى مسافر بن سعيد الهمداني ؛ وابن عمارة التميمي ؛ وضمَّ إليهما عشرين رجلاً ووجّه بهما إلى محمد بن الحنفية وهو يومئذ بمكة، فبينا هو جالس في نفر من شيعته يتحدث ويقول : ألا ترون إلى المختار يزعم : أنَّه من شيعتنا وأنه يطلب بدم الحسين ! وقتلة الحسين عن يمينه وشماله على الكراسي يحدثونه؟ وقد بلغني عن عمر بن سعد وابنه حفص يروحان ويغدوان عليه، فما أتم كلامه إلاّ وكتاب المختار مع الرأسين والمال قد وافاه ووضع بين يديه، فقرأ الكتاب وحوَّل وجهه إلى القبلة وخرَّ ساجداً، ثم رفع رأسهُ وبسط كفيه وقال : اللهم ! لا تنس هذا للمختار، وأجزه عن أهل بيت نبيك أفضل الجزاء.

ثم أخذ بعض المال وفرَّقه في مكة، وأرسل الباقي إلى المدينة ففرق في أهل البيت وغيرهم من المهاجرين والأنصار، ولما أحرق المختار الجسدين وبعث بالرأسين أمر بإحراق داري عمر بن سعد وابنه حفص فأحرقا جميعاً.

وذكر أبو مخنف في تاريخه الكبير : أنَّ عبدالله بن دباس

جاء إلى المختار فأخبره : أنَّ في القادسية فرساناً من قتلة الحسين عليه السلام. فبعث إليهم المختار مالك بن عمرو النهدي وكان من رؤساء أصحابه فأتاهم وقبض عليهم وجاء بهم عشاء إلى المختار، وهم : عبدالله بن النزال الجهني ؛ ومالك بن بشير البدي ؛ وحمل بن مالك المحاربي ؛ وكانوا من فرسان عبيدالله بن زياد، فقال لهم المختار : يا أعداء الله وأعداء رسول الله وأعداء آل بيت رسول الله ! أين الحسين بن علي؟ أدوا إليَّ الحسين، قتلتم ابن من أمركم الله بالصلاة عليه في صلواتكم؟ قالوا : رحمك الله، بعثنا عبيدالله بن زياد ونحن كارهون قتاله، فأمنن علينا واستبقنا، فقال لهم المختار : فهلا مننتم على الحسين واستبقيتموه؟ ثم قال لمالك بن بشير البدي : أنت صاحب برنسه؟ ثم أمر بقتالهم فقال عبدالله بن كامل : وحمل معه أهل العراق بأجمعهم حملةَ رجلٍ واحد فاصطفقوا بالصفاح، وتطاعنوا بالرماح، وتراموا بالسهام، وإبراهيم يقول لصاحب رايته : تقدَّم فداك أبي، فالحق أمامك، والله ناصرك، وصاحب الراية يتقدَّم وأهل العراق خلفه، وحان وقت الصلاتين، وما صلّى القوم إلاّ بالإيماء، حتى إذا كان وقت اصفرار الشمس، انهزم أهل الشام هزيمةً قبيحةً وولوا الأدبار، فأخذ السيف أكتافهم، وقهقر بقيتهم إلى الموصل ونظر إبراهيم

إلى رجل عليه بزَّةٌ حسنةٌ، ودرع سابغة وعمامة خزّ دكناء، وديباجة فوق الدرع، وقد أخرج يده من الديباجة وفيها صفيحة مذهبة، فقصده إبراهيم لتلك الصفيحة، وللفرس الذي تحته، فلم يلبث أن ضربه ضربةً شرَّقت بيديه وغرّبت برجليه، فامتد إبراهيم منعطفاً من سرجه، ورجلاه في الركاب إلى الأرض، وتناول الصفيحة وغار الفرس مّما لحقه، وكان الظلام من الغروب ومن القتام قد ترك الناس لا يبصر بعضهم بعضاً.

فتراجع أهل العراق من نحو الموصل إلى معسكرهم لا يطأون إلاّ على جسد قتيل، وأصبحوا وقد فقد منهم ثلاثة وسبعون رجلاً، وأصبح أهل الشام وهم عشرة آلاف رجل وثمانمائة رجل وعامتهم جرحى، وقد فقد منهم سبعون ألفاً فبذلك يقول بعض الشعراء في إبراهيم بن مالك الأشتر ؛ والمختار بن أبي عبيد يمدحهما :

فجزى إبراهيم ثم أبا إسحـ
ق عنّا الإله خير الجزاء
وجزى الله شرطة الله خيراً
عن بني هاشم بحسن البلاء
إذ تعشَّوا منهم بسبعين ألفاً
أو يزيدون قبل وقت العشاء

قـــتلوا الفـــاسق اللعين جـــهـــاراً
في فـــريق من ســـائر الأحـــيـــاء
وشـــفـــوا منهم غليل صـــدور
وعلـى ربّنـا تمام الشـــفـــاء

ثم قال إبراهيم لإصحابه : إني تبعت البارحة رجلاً وقد اختلط الظلام، في يده هذه الصفيحة، وتحته فرس جواد، فقتلته وأنا أشمّ منه رائحة المسك، فأخذتُ الصفيحة وفاتني الفرس، فقال بعض أصحابه : أصلح الله الأمير ! الفرس أنا أمسكته وسأجيئك به فقد جعله الله لك، قال إبراهيم : إنَّ بزته حسنة، ولامته كاملة، فانظروه بجانب شاطىء الفرات بموضع كذا وكذا، فذهب القوم فإذا هو عبيدالله بن زياد فأتوا برأسه ووضعوه بين يديه، فلما رآه عرفه وقال : الله أكبر ! وخرَّ ساجداً، ورفع رأسه وهو يقول : الحمدُ لله الذي جعل قتله على يدي، فبذلك يقول بعض الشعراء من أصحاب إبراهيم :

فـدى لغـلام من عـرانين مـذحج
جـريء على الأعـداء غـيـر نكول
أتاه عـبـيـدالله في شـرّ عـصـبـة
من الشـام واستـجلى بخـير قـبـيل

فلما التقى الجمعان في حومة الوغى
وجرَّ الردى في الحرب فضل ذيول
فولى عبيدالله خوفاً من الردى
وخشية ماضي الشفرتين صقيل
فيعلوه إبراهيم بالسيف فاصلاً
فطاحَ على البوغاء شرَّ قتيل
جزى الله خيراً شرطة الله أنهم
شفوا بعبيد الله كل غليل

ثم أمر إبراهيم برأس عبيد الله بن زياد ؛ ورأس الحصين بن نمير السكوني ؛ ورأس شرحبيل بن ذي الكلاع الحميري ؛ ورأس ربيعة بن مخارق الغنوي ؛ ورؤوس أشباههم من رؤساء أهل الشام ؛ فقورت ونقضت، وكتبت الرقاع بأسماء أصحابها وبعث بها إلى المختار، وكتب له يخبره بالواقعة كيف فعل بالمحلِّين، وقتلة أهل البيت؟ وكيف أباد خضراءهم؟ فوردت الرؤوس على أهل الكوفة تنيف على سبعين رأساً يقدمها رأس عبيد الله بن زياد فاستقبتلها الشيعة فرحين، يحمدون الله الَّذي أهلكهم وشفى صدور المؤمنين، وكان المختار قبل مجيء الرؤوس يقول : سيأتنيا الفتح غداً في رأس ابن مرجانة، فلمَّا ورد في غد، زعم بعض من لا علم له : أنه يعلم الغيب،

وافتتن به خلقٌ من أهل الكوفة، حتى قال الشعبي : يا قوم ! لا يفتننكم الشيطان، ما ذلك إلاَّ فراسة مؤمن فقد قال رسول الله ﷺ ، فراسة المؤمن لا تخطىء.

ثم إن المختار بعث برأس عبيدالله بن زياد، ورأس الحصين بن نمير ؛ ورأس شرحبيل بن ذي الكلاع إلى محمَّد بن الحنفية وصلب باقي الرؤوس حول الكوفة، وكتب إلى محمَّد ومع الكتاب ثلاثون ألف دينار :

بسم الله الرَّحمنِ الرَّحيم للمهدي محمَّد بن علي، من المختار بن أبي عبيد سلام عليك، أما بعد ءِفأحمد الله الذي أخذ لك بالثأر، من الأشرار، المطلوبين بالأوتار، فقتلهم في كل فج بقهر، وأغرقهم في كلِّ نهر، وأهلك أولياءهم بالقهر، فشفى الله بذلك قلوب المؤمنين، وأقرَّ عيون المسلمين، إذ أهلك المحلّين، وأبناء القاسطين، وإذا أنزل بهم ما أنزل بثمود وعاد وغرقهم تغريق فرعون ذي الأوتاد، الذين طغوا في البلاد، وأكثروا فيها الفساد، لقد قتلوا شَرَّ قتلة، ومثل بهم أقبح مثلة، وقد وجهتُ إليك برأس ابن زياد من ذوي الإلحاد، ليكبت بذلك الأعداء ذوو الأحقاد، ويفرح ذوو الولاء والوداد، ووجّهت معها ثلاثين ألف دينار، لتنفقها على أهل بيتك وشيعتك، والسلام.

فلما ورد الكتاب على محمد قرأه على أهل بيته، فحمدوا الله وصاموا له شكراً وأمر محمد أن تصلب الرؤوس خارج المحرم، فمنعه عبدالله بن الزبير، فدفنت

الفصل السابع عشر

قتل الشمر بن ذي الجوشن

ودعا المختار بعبد الرحمن بن عبيد الهمداني وقال له : بلغني عن شمر ابن ذي الجوشن الضبابي أنه خرج من الكوفة في نفر من غلمانه ومن تبعه هارباً، فاخرج أنت في طلبه فلعلك تأتيني به حياً أو برأسه، فإني لا أعرف في قتلة الحسين أعتى منه ولا أشدّ بغضاً لأهل البيت، وضمَّ إليه عشرة من أبطال أصحابه، وقال له ولهم : أنشدكم الله إلاّ أقررتم عيني بقتله، وشفتيم غليلي بذلّه، فلقد أكمدني بفعله.

فخرج عبدالرحمن في أصحابه العشرة يسألون عنه، فقيل : إنَّه قد نزل في جنب قرية على شاطىء الفرات يقال لها : الكلتانية ومعه قوم قد صحبوه من قتلة الحسين وهم آمنون مطمئنون، فرحل عبدالرحمن بهم إليه، فلما أشرف عليه عَلِم أن الخيل خيل المختار، فوثب قائماً يتأمَّلهم فنظروا إليه وعرفوه، فكبّروا وأحاطوا به وبأصحابه، وكان شمر متزراً بمنديل وكان أبرصاً، والبرص على سائر جسده، فكأنه ثوب ملمع، فأخذ رمحه ودنا من أصحاب المختار وحمل عليهم وهو يقول :

نبهتم ليثاً هزيراً باسلاً
جهماً محياه يدق الكاهلا
لم يك يوماً عن عدوٍ ناكلا
إلاَّ كذا مقاتلاً أو قاتلا

فتقدم إليه عبدالرحمن بن عبيد وهو يقول :

يا أيهـــا الغـــادر وابن الغـــادر
وقـــاتل الحـــسين ذي المفـــاخـــر
ابن النبي الطيب العناصـــــر
وابن الوصي الطاهر ابن الطاهر
منيت من شـــيـــعـــتـــه بثـــائر
يطعن في الضلوع والحناجـــــر
أشـــجع من ليث عـــرين خـــادر
فـــأبشـــر بخـــزي وبموت حـــاضـــر

ثم طعنه عبدالرحمن في نحره فسقط قتيلاً، فنزل إليه واحتزَّ نحره وقتل أصحابه جميعاً، وأخذ أموالهم وأسلحتهم ودوابهم، وجاء برأسه ورؤوس أصحابه إلى المختار، فلما نظر المختار إليه خرَّ ساجداً، وقال : يا عبد الرحمن ! أقر الله عينك بلقاء رسول الله ﷺ في الجنّة، ثم أمر برأس الشمر فنصب في رحبة الحذائين أزاء المسجد الجامع، فمثل به الصبيان برمي الحجارة والقذارة، وأمر المختار لعبدالرحمن بعشرة آلاف دينار وولاه حلوان.

الخاتمـــة

وهكذا شاء الله سبحانه وتعالى أن يأخذ الحق لأولياءه، ويخزي أعداءه في الدنيا قبل الآخرة، وذلك إن وعد الله حق، وإن الله لا يُخلف وعده وهو أحكم الحاكمين، وحينما يعطي الإنسان لله كلَ ما يمتلك، يعطيه الله مما عنده حتى يرضيه ولذلك قول الله تعالى : ﴿**رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم**﴾[1] ولما لم يكن في قلب الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام إلاّ الله سبحانه وتعالى فقد أعطاه الله سبحانه وتعالى ما لم يعطي أحداً من العالمين، فلم يكن في قلب الحسين غيرَ الله سبحانه وتعالى ولم يكن هناك تربة فيها الشفاء غير تربة قبر الحسين عليه السلام، ولم يكن في نسل غيره، تسعةً أوصياء إلاّ منه، وكان له في قلوب المؤمنين حرارةً لا تبرد إلى يوم القيامة، وما كانت لغيره من العالمين وما ملكها، إلاّ الإمام الحسين سبط خاتم النبيين، وها هو النبي سيد المرسلين يحذر بالعذاب الأليم لظالمي أهل بيته وعترتهِ، فعن الحافظ أبو

---

(١) سورة المائدة : الآية ١١٩ .

بكر محمد بن عبدالله بن نصر الزاغوني عن أبي الحسن محمد بن إسحاق بن الساهوجي عن أبي عبدالله الحسين بن الحسن بن علي بن بندار عن أبي بكر محمد بن إبراهيم بن الحسن بن شاذان البزاز عن أبي القاسم عبد الله بن أحمد بن عامر بن سليمان عن أبي أحمد بن عامر بن سليمان الطائي عن أبي الحسن علي بن موسى الرضا قال حدثني أبي موسى بن جعفر عن أبيه جعفر بن محمد الصادق عن أبيه محمد بن علي الباقر عن أبيه علي بن الحسين زين العابدين، عن أبيه الحسين بن علي بن أبي طالب، عن أبيه علي بن أبي طالب، عن رسول الله ﷺ : قال قاتل الحسين في تابوت من نارعليه نصف عذاب أهل النار وقد شُدَّتْ يداه ورجلاه بسلاسل من نار يُنكس في النار حتى يقع في قعر جهنم وله ريح يتعوذ أهل النار إلى ربهم عزوجل من شدّة نتنها وهو فيها خالد، ذائق العذاب أليم، كلما نضجت جلودهم تبدل عليهم الجلود ليذوقوا ذلك العذاب الأليم.

وبهذا الإسناد، قال : «قال رسول ﷺ : الويلُ لظالمي أهل بيتي، عذابهم مع المنافقين في الدرك الأسفل من النار، لا يفتر عنهم ساعة، ويسقون من عذاب جهنم، فالويل لهم من العذاب الأليم».

وبهذا الإسناد، قال : «قال رسول الله ﷺ : اشتدَّ غضب الله وغضب رسوله على مَن أهرق دمي ؛ وآذاني في عترتي».

وتحدث مُخبراً العالم العابد الأوحد أبو الفتح عبدالملك بن أبي القاسم الكروخي، عن مشايخه الثلاثة : محمود بن أبي القاسم الأزدي ؛ وأبي نصر التِرياقي ؛ وأبي بكر الغورجي، ثلاثتهم، عن أبي محمد الجراحي، عن أبي العباس المحبوبي، عن الحافظ أبي عيسى الترمذي، حدثني واصل بن عبدالأعلى، حدثني أبو معاوية، عن الأعمش، عن عمارة بن عمير، قال : لما جيء برأس عبيدالله بن زياد إلى المختار مع رؤوس أصحابه، وقد نضدت[1] في المسجد في الرحبة، فانتهيت إلى الناس وهم يقولون : قد جاءت، قد جاءت، فلم أدر ما هي، فإذا هي حيَّة قد جاءت فتخللت الرؤوس حتى دخلت في منخر عبيدالله بن زياد فمكثت فيه هنيئة، ثم خرجت فذهبت حتى تغيبت، ثم قالوا : قد جاءت، قد جاءت، ففعلت الحيةُ ذلك أمامي مرتين أو ثلاثاً.

قال أبو عيسى الترمذي : هذا حديث صحيح.

وتختم صفحات الأشرار والفاسقين والفجار بالخزي

---

(١) نضدت : أي صفت.

والعار، وتختم صفحات المتقين الأبرار بالفوز والرضوان، والله ناصر أوليائه وآل بيت نبيه رغم أنوف الظالمين الطغاة، وكما قالت الحوراء زينب ابنة علي بن أبي طالب للإمام زين العابدين علي بن الحسين عليهما السلام (ومهما اجتهد أئمة الكفر وأشياع الضلال محوه وتطميسه[١] لا يزدادُ إلاّ علواً وذكره إلاّ انتشاراً[٢].

وهكذا ترى عزيزي القارىء، إن الحق يعلو ولا يعلى عليه في كل أرجاء العالم، وتبقى كلمةُ الله هي العليا، بنبيه المصطفى، ووصيه المرتضى، وبسيدةِ النساء فاطمة الزهراء سيدة الورى، وبالحسن المجتبى، والحسين خامس أهل العَبا، وبنورهم تكون كلمة الذين كفروا هي السفلى، وذلك هو نور الله الذي لا يخبو، **﴿يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلاّ أن يتم نوره ولو كره الكافرون﴾**[٣].

---

(١) تطميسه : أي محوهِ وإزالته، بمعنى إزالة قبر الحسين وذكر الحسين عليه السلام .

(٢) راجع الكامل في التاريخ ج٣ ص ١٥٨ والطبري في تاريخه ج٦ ص٨٩ والمعارف لابن قتيبة، وكامل الزيارات ص٢٦١ باب ٨٨ فضل زيارة كربلاء.

(٣) سورة التوبة : الآية ٣٢ .

زيارة عاشوراء

«السَّلامُ عَلَيْكَ يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ السَّلامُ عَلَيْكَ يابْنَ رَسُولِ اللهِ (السَّلامُ عَلَيْكَ يَا خِيرَةَ اللهِ وَابنَ خِيرَتِهِ) السَّلامُ عَلَيْكَ يابْنَ أَمِيرِ الْمُؤمِنِينَ وَابْنَ سَيِّدِ الوَصِيِّينَ السَّلامُ عَلَيْكَ يابْنَ فاطِمَةَ سَيِّدَةِ نِساءِ العالَمِينَ السَّلامُ عَلَيْكَ يا ثَارَ اللهِ وابْنَ ثارِهِ وَالوِتْرَ الْمَوْتُورَ السَّلامُ عَلَيْكَ وَعَلَى الأَرْواحِ الَّتي حَلَّتْ بِفِنائِكَ وأناخت برحلِك عَلَيْكُمْ مِنِّي جَمِيعاً سَلامُ الله أبداً ما بَقِيتُ وَبَقِيَ اللَّيْلُ والنَّهارُ يا أَبَا عَبْدِ اللهِ لَقَدْ عَظُمَتِ الرَّزِيَّة وجَلَّتْ وَعَظُمَتْ الْمُصِيبَةُ بِكَ (بِكُمْ) عَلَيْنَا وَعَلى جَمِيعِ أَهْلِ الإِسْلامِ وَجَلَّتْ وَعظُمَتْ مُصيبَتُكْ في السَّماواتِ عَلَى جَمِيعِ أَهْلِ السَّماواتِ فَلَعَنَ الله أُمَّةً أَسَّسَتْ أَسَاسَ الظُّلْمِ والجُورِ عَلَيْكُمْ أَهْلَ البَيْتِ وَلَعَنَ الله أُمَّةً دَفَعَتْكُمْ عَنْ مَقامِكُمْ وَأَزالَتْكُمْ عَنْ مَراتِبِكُمْ الَّتي رَتَّبَكُمُ الله فِيها وَلَعَنَ الله أُمَّةً قَتَلَتْكُمْ وَلَعَنَ الله الْمُمَهِّدينَ لَهُمْ بالتَّمْكِينِ مِنْ قِتالِكُمْ بَرِئَتْ إِلَى الله وَإِلَيْكُمْ مِنْهُمْ وَمِنْ أَشْياعِهِمْ وَأَتْباعِهِمْ وَأَوْلِيائِهِمْ يا أَبَا عَبْدِ اللهِ إِنِّي سِلْمٌ لِمَنْ سالَمكُمْ وَحَرْبٌ لِمَنْ حَارَبَكُمْ وَوَلِيٌّ لِمَنْ والاكُمْ وَعَدٌ لِمَنْ عاداكُمْ إِلَى يَوْمِ القِيامَةِ

وَلَعَنَ الله آلَ زِيادٍ وآلَ مَرْوانَ وَلَعَنَ الله (بَني) أُمَيَّةَ قاطِبَةً وَلَعَنَ الله ابْنَ مَرْجَانَةَ وَلَعَنَ اللهُ عُمَرَ بنَ سَعْدٍ وَلَعَنَ اللهُ (شَمِراً) وَلَعَنَ اللهُ أُمَّةً أسْرَجَتْ وَألْجَمَتْ وَتَنَقَّبَتْ وَتَهيأتْ لِقِتالِكَ يَاأبا عَبدْ اللّه بِأبِي أنْتَ وأُمِّي لَقَدْ عَظُمَ مُصَابي بِكَ فَأسْألُ الله الَّذي أكْرَمَ مَقامَكَ وأكْرَمَني (بِكَ) أنْ يَرْزُقَني طَلَبَ ثارِكَ مَعَ إمامٍ مَنْصُورٍ مِنْ أهلِ بَيْتِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ اللَّهُمَّ اجْعَلْني عِنْدَكَ وَجيهاً بِالحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلامُ فِي الدُّنْيَا والآخِرَةِ يَا أبَا عَبْدِ اللهِ إنِّي أتَقَرَّبُ إلَى اللهِ وَإلَى رَسُولِهِ وَإلَى أمِيرِ المُؤمِنِينَ وَإلَى فاطِمَةَ وَإلَى الْحَسَنِ وَإلَيْكَ بِموالاتِكَ وَبِالبَراءَةِ مِنْ أعْدائِكَ وَمِمَّنْ قاتَلَكَ وَنَصَبَ لَكَ الْحَرْبَ وَبِالبَراءَةِ مِمَّنْ أسَّسَ أساسَ الظُّلْمِ وَالجُورِ عَلَيْكُمْ أهْلَ ألبَيتْ وَأبْرأُ إلى اللهِ وَإلى رَسُولِهِ مِمَّنْ أسَّسَ أساسَ ذلِكَ وَبَنى عَلَيْهِ بُنْيَانَهُ وَجَرَى فِي ظُلْمِهِ وَجَوْرِهِ عَلَيْكُمْ وَعَلَى أشْياعِكُمْ بَرِئْتُ إلَى اللهِ وَإلَيْكُمْ مِنْهُمْ وَأتَقَرَّبُ إلَى اللهِ ثُمَّ إلَيْكُمْ بِمُوالاتِكُمْ وَمُوالاةِ وَلِيِّكُمْ وَبِالبَراءَةِ مِنْ أعْدائِكُمْ وَمِنَ النَّاصِبِينَ لَكُمْ الْحَرْبَ وَبِالبَرَاءَةِ مِنْ أشياعِهِمْ وَأتْبَاعِهِمْ إنِّي سِلْمٌ لِمَنْ سَالَمكُمْ وَحَرْبٌ لِمَنْ حَارَبَكُمْ وَوَلِيٌّ لِمَنْ والاكُمْ وَعَدُوٌّ لِمَنْ عاداكُمْ فأسْألُ اللهَ الَّذي أكْرَمَنِي بِمَعرِفَتِكُمْ وَمَعْرِفَةِ أوْلِيائِكُمْ وَرَزَقَني البَرَاءَةَ مِنْ أعدائِكُمْ أنْ يَجْعَلَنِي مَعَكُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وأنْ يُثَبِّتَ لِي عِنْدَكُمْ قَدَمَ صِدْقٍ فِي الدُّنْيَا والآخِرَةِ

وأسْألُهُ أنْ يُبَلِّغَنِي المَقامَ المَحْمُودَ الذي لكُمْ عِنْدَ اللهِ وأنْ يَرْزُقَني طَلَبَ ثارِي (ثارِكُمْ) مَعَ إمام هُدىً (مَهْدِيٍّ) ظاهِرٍ ناطِقٍ (بِالحَقِّ) مِنْكُمْ وَأسْألُ اللهَ بِحَقِّكُمْ وَبِالشَّأنِ الَّذِي لكُمْ عِنْدَهُ أنْ يُعْطِيَني بِمُصابي بِكُمْ أفْضَلَ ما يُعْطِي مُصاباً بِمُصِيبَتِهِ مُصيبَةً ما أعْظَمَهَا وَأعْظَمَ رَزِيَّتَهَا فِي الإسْلامِ وَفِي جَمِيعِ السَّماواتِ والأرْضِ اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي فِي مَقامي هَذا مِمَّنْ تَنالُهُ مِنْكَ صَلَواتٌ وَرَحْمَةٌ وَمَغْفِرَةٌ اللَّهُمَّ اجْعَلْ مَحْيَايَ مَحْيَا مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ ومَمَاتِي مَمَاتَ مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ اللَّهُمَّ إنَّ هَذا يَوْمٌ تَبَرَّكَتْ (فِيهِ) بَنُو أُمَيَّةَ وَابْنة آكِلَةِ الأكبَادِ اللَّعِينُ ابْنُ اللَّعِينُ عَلى (لِسانِكَ و) لِسانِ نَبِيِّكَ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ) فِي كُلِّ مَوْطِنْ وَمَوْقِفٍ وَقَفَ فِيهِ نَبِيُّكَ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ) اللَّهُمَّ الْعَنْ آبَا سُفْيانَ وَمُعاوِيَةَ وَيَزِيدَ بنَ مُعاوِيَةَ عَلَيْهِمْ مِنْكَ اللَّعْنَةُ أبَدَ الآبِدِينَ وَهَذا يَوْمٌ فَرِحَتْ بِهِ آلُ زِيادٍ وآلُ مَرْوانَ بِقَتْلِهِمُ الْحُسَيْنَ صَلَواتُ اللهِ عَلَيْهِ اللَّهُمَّ فَضاعِفْ عَلَيْهِمْ اللَّعْنَ (مِنْكَ) وَالعَذَابَ (الأليمَ) اللَّهُمَّ إني أتَقَرَّبُ إلَيْكَ فِي هذا الْيَومِ وَفِي مَوْقفي هَذا وَأيَّامِ حَياتي بِالبَراءَةِ مِنْهُمْ واللَّعْنَةِ عَلَيْهِمْ وَبِالمُوالاةِ لِنَبِيِّكَ وآلِ نَبِيِّكَ (عَلَيْهِ وَ) عَلَيْهِم السَّلامُ.

ثم تقول مائة مرة اللَّهُمَّ الْعَنْ أوَّلَ ظالِمٍ ظَلَمَ حَقَّ مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ وآخِرَ تَابِعٍ لَهُ عَلَى ذلِكَ اللَّهُمَّ الْعَنِ الْعِصابَةَ الَّتي

(الَّذِينَ) جَاهَدَتِ الْحُسَيْنَ وَشايَعَتُ وَبايَعَتْ وَتابَعَتْ عَلى قَتْلِهِ اللَّهُمَّ الْعَنْهُمْ جَمِيعاً.

ثم تقول مائة مرة السَّلامُ عَلَيْكَ يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ وَعَلَى الأَرْواحِ الَّتي حَلَّتْ بِفِنائكَ عَلَيْكَ مِنِّي سَلامُ اللهِ (أَبَداً) ما بَقيتُ وَبَقِيَ اللَّيْلُ والنَّهارُ وَلا جَعَلَهُ اللهُ آخِرَ الْعَهْدِ مِنِّي لِزِيارَتِكُمْ (لِزِيارَتِكَ) السَّلامُ عَلَى الْحُسَيْنِ وَعَلَى عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ (وَعَلَى أَوْلادِ الْحُسَيْنِ) وَعَلَى أَصْحابِ الْحُسَيْنِ.

ثم تقول اللَّهُمَّ خُصَّ أَنْتَ أَوَّلَ ظالِمَ بِاللَّعْنِ مِنِّي وَابْدأْ بِهِ أَوَّلاً ثُمَّ (الْعَنْ) الثَّانِيَ والثَّالِثَ وَالرَّابِعَ اللَّهُمَّ الْعَنْ يَزِيدَ خامِساً وَالْعَنْ عُبَيْدَ اللهِ بْنَ زِيادٍ وابْنَ مُرْجانَةَ وَعُمَرَ بْنَ سَعْدٍ وَشِمْراً وَآلَ سُفْيانَ وَآلَ زِيادٍ وَآلَ مَرْوانَ إِلَى يَوْمِ الْقِيامَةِ.

ثم تسجد وتقول اللَّهُمَّ لَكَ الحَمْدُ حَمْدَ الشَّاكِرينَ لَكَ عَلَى مُصابِهِمْ الْحَمْدُ للهِ عَلَى عَظِيمِ رَزِيَّتي أَللهُمَّ ارْزُقْنِي شَفاعَةَ الْحُسَيْنِ عَليهِ أَلسلام يَوْمَ الْوُرُودِ وَثَبِّتْ لِي قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَكَ مَعَ الْحُسَيْنِ وأَصْحابِ الَّذِينَ بَذَلُوا مُهَجَهُمْ دُونَ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلامُ. قال علقمة، قال الباقر عليه السلام : «وإن استطعت أن تزوره في كُلّ يوم بهذه الزيارة في دارك فافعل، فلك ثواب جميع ذلك». وروى محمَّد بن خالد الطيالسي عن سيف بن عميرة، قال خرجت مع صفوان بن مهران وجماعة من أصحابنا إلى

الغريِّ بعدما خرج الصّادق عليه السلام فسرنا من الحيرة إلى المدينة فلمَّا فرغنا من الزّيارة أي زيارة أمير المؤمنين عليه السلام صرف صفوان وجهه إلى ناحية أبي عبدالله عليه السلام فقال لنا تزورون الحسين عليه السلام من هذا المكان من عند رأس أمير المؤمنين عليه السلام من هاهنا أومأ إليه الصادق عليه السلام وأنا معه قال سيف بن عميرة، فدعا صفوان بالزّيارة التي رواها علقمة بن محمد الحضرمي عن الباقر عليه السلام في يوم عاشوراء ثمَّ صَلّى ركعتين عند رأس أمير المؤمنين عليه السلام وودَّع في دبرهما أمير المؤمنين عليه السلام وأومأ إلى الحسين (صلوات الله عليه) بالسَّلام منصرفاً بوجهه نحوه وودَّع وكان ممَّا دعا دبرهما».

١. القرآن الكريم
٢. أنساب الأشراف
٣. تاريخ المدينة لأبي شيبة
٤. تاريخ الطبري
٥. مسند أحمد بن حنبل
٦. سنن ابن ماجة
٧. تاريخ دمشق لابن عساكر
٨. الإرشاد للمفيد
٩. بحار الأنوار
١٠. منهاج السنة لابن تيمية
١١. كنز العمال
١٢. الخصائص الحسينية
١٣. تفسير القمي
١٤. الخرائج والجرائح
١٥. معاجز أهل البيت
١٦. مناقب آل أبي طالب
١٧. كامل الزيارات
١٨. كمال الدين
١٩. أمالي الصدوق
٢٠. المنتخب للطريحي
٢١. جلاء العيون
٢٢. اللهوف
٢٣. اللذائذ الدنيوية
٢٤. العوالم
٢٥. الاحتجاج
٢٦. كشف الغمة
٢٧. مقتل الخوارزمي
٢٨. عمدة القارئ في شرح البخاري للعيني
٢٩. مروج الذهب
٣٠. أمالي المفيد
٣١. مرآة الجنان لليافعي
٣٢. الصواعق المحرقة
٣٣. الكامل في التاريخ
٣٤. الخطط للمقريزي
٣٥. تذكرة الخواص
٣٦. جامع السعادات
٣٧. غرر الحكم
٣٨. ميزان الحكمة
٣٩. الإصابة في تمييز الصحابة
٤٠. تاريخ القرماني
٤١. تفسير روح المعاني
٤٢. رياض الأحزان
٤٣. مثير الأحزان
٤٤. الخصائص الكبرى
٤٥. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد
٤٦. الخصائص للسيوطي
٤٧. الاتحاف بحب الأشراف
٤٨. البداية لابن كثير
٤٩. سير أعلام النبلاء
٥٠. البابليات
٥١. نفس المهموم
٥٢. روضة الواعظين
٥٣. أعلام الورى
٥٤. عجائب المخلوقات للقزويني
٥٥. كتاب الرسائل للمرتضى
٥٦. الآثار الباقية
٥٧. نهر الذهب في تاريخ حلب
٥٨. الاعلاق النفسية لابن رسته

الإهداء ٥
المقدمة ٧
من هو الحسين؟ ٩
ما معنى حسين مني وأنا من حسين؟ ١٣
الحسين والأنبياء ١٩
الفاجعة الكبرى ٣٥
مأساة الرحيل ٤٧
الأثر الدامي ٥٧
الرأس الشريف يكشف الأحقاد ٦١
الرأس الشريف يتحدى الطغاة ٦٧
لماذا الرأس يطوف البلاد ٧٥
الشهيد يواصل برأسه الرسالة والجهاد ٨٣
الرأس الشريف ء ووداع الأحبة ٩٧
الحسين والقرآن ١٠١
عبر من أسرار الشهادة ١٠٩
نهاية المطاف ١١٩
تحقق النصر ١٢٩
مقتل عمر بن سعد بن أبي وقاص ١٣٥
قتل الشمر بن ذي الجوشن ١٤٧
الخاتمة ١٥٠
زيارة عاشوراء ١٥٤
فهرس المصادر ١٥٩
فهرس الكتاب ١٦٠